علي ناصر الدين

قضية العرب

الناشر : دار العلم للملايين

عليّ ناصر الدّين

قضيّة العرب

الناشر : دار العلم للملايين

بيروت ١٩٤٦

للمؤلف

•

الصحافة	(ترجمة)	نفد
جنون الأبطال	»	نفد
السياسة اليهودية في اوروبة		تحت الطبع
إيمان ساعة		نفد

الإهداء

•

الى روح فيصل الكبير ، الزعيم ، والقائد ، والملك الخالد ، الى ارواح الذين استشهدوا في سبيل قضية العرب ، في كل مصر ، منذ ان تفتق ضمير الدهر ، عن هذه القضية ، فانفتح لها ضمير افراد معدودين ، من نبهاء العرب حتى اليوم ، الى المؤمنين من بين الذين اشتغلوا ويشتغلون لهذه القضية ، من شبان العرب وشاباتهم في كل قطر ، ولا سيما ، ، هؤلاء الذين ألقي اليهم في العقد الثاني من القرن العشرين علم النضال للتحرر والاستقلال ، فرفعوه بقوة وايمان وخيلاء ، ودافعوا وسيظلون يدافعون عنه ، بقوة وايمان وخيلاء ، الى ان يُتمّ الله نوره ...

الى شبان العرب وشاباتهم بصورة عامة ، في آسية وافريقية ، أهدي كتابي هذا .

المؤلف

مقدّمة

●

كتبتُ هذا الكتاب في خلال الحرب العالمية الاخيرة ، وقد يكون من الحرمة للحقيقة والدقة ، القول: انني فرغت من كتابته ، في خلال الحرب العالمية الاخيرة . فقد كنت بدأت اكتبه في اواخر شهر آب من عام ١٩٣٩ . واشتعلت نيران الحرب، في اليوم الثاني من شهر ايلول من ذلك العـام . فاعتقلتني السلطات الغاصبة ، المستعمرة ، الحاكمة يومذاك ، في اليوم الثالث من ذلك الشهر ، ولم أكن كتبت إلا صفحات ، لا يتجاوزن الخمس أو اكثر قليلا ، فأسدل الستار على الكتاب وعليّ ... أيضاً ...

كانت فكرة الكتاب مختمرة في رأسي ، وكانت هذه القضيـة « قضية العرب » تشغل عقلي ، وفكري، وروحي ، بصورة مُلحة ، تأخذ عليّ جماع ذاتي وكينونتي ، فأشعر بقـدسية الفرض الذي تفرضه طبيعة هذه القضية ، على العاملين المؤمنين ، في عرضهـا ، وشرحها ، وتبسيطها . فتستوي ، كما ينبغي لها ان تستوي ، صورة ذهنية بارزة ، دقيقة الصناعة ، جلية الملامح ، واضحـة القسمات ،

مفهومة فهماً تاماً كاملا في « كليتها » وفي « جزئياتهـــا » ، أشعر بذلك ، فما أهُمّ بان البي نداء هـــذه القدسية ، حتى يصرفني عن التلبية ، نداء آخر ، بل نداءات يومية متتالية ، غـــير منقطعة ، تتصل من النداء الأقدس بالصميم : نداء الغضب للحق ، يهزأ به ، ويخوض في تهشيمه وطمسه ، المستعمر الغاشم . ونـــداء الغضب للكرامة ، يسخر منها ، ويتهجّم عليها ، ويهتك سترها ، المستعمر الغاشم . ونداء الغضب للحرية ، يعبث بها ، وينتهك حرمتهـــا ، ويجلدها بسوطه ، المستعمر الغاشم . ونداء الحاجـــة الطبيعية الى العيش ، أدنى الحاجات ، ولكن أشدّها إلحاحاً : الحاجـــة الى الرغيف ، يأخذه المستعمر الغاشم ، بيديه الاثنتين ، فيقطّعـــه تقطيعاً ، ويضرب بقطعه الارض ،ثم يدوسه بحذائه ، وأهل الرغيف ينظرون اليه ، في وجوم ، وفي هلع . الحاجة الى اللقمة ، ينتزعها المستعمر الغاشم ، بأصابعه القذرة ، يصطنعها القوة ، من فم صاحب اللقمة الجائع الصابر ، ويرمي بها إلى الكلاب .

وفي كل نداء من هذه النداءات ، قدر كاف ، من العوامل التي تهيب بك إلى النضال ، الى مكافحة علة العلل في هذه النداءات . فأنت ، في كل ساعة ، إن لم أقل ، في كل دقيقة ، قلق النفس ، مضطرب البال ، معذب الذات ، يُلح عليك الغيظ ، وتساور نفسك الثورة ، ويضغط على اعصابك الحرمان ، ويهددك خطر الجوع ، فتعجز ، – وتأبى ان تعجز – وتـكاد تتمزّق أو تتحطم .

على ان الغريب – وقد لا يكون غريباً – ان يتفتق العجز ،

عن قدرة ، وينبثق من الضيق الشديد ، الفرج .

ذلك ان الله سبحانه وتعالى ، شاء — ولا راد لمشيئة الله — ان يقيّض لي ، من مراحل تحكم المستعمرين الغاشمين ، الاقوياء الضعفاء ، في العناصر المادية من ذاتي ، مرحلة استقرار ، في اعتقال ، قعد بي — لانقطاع الوسائل — عن النضال العام . وتيسّر لي أن أتم كتابة هذا الكتاب ، الذي أرجو ان يكون فيه — على هينته — شيء من الخير لقومي ، يصح ان يكفّر به ، قلة غنائي عنهم ، واثمي بالقصور في خدمتهم . لقد كان هذا الكتاب قليل الحظ ، وكنتُ ، به ، قليل الحظ معه ، فان له لقصة ، تبدأ بعد الانتهاء من كتابته ، كما كانت له القصة التي عرفتَ ، بعد البدء في كتابته .

خرجتُ من المعتقل في أواخر سنة ١٩٤٣ . وفي اوائل سنة ١٩٤٤ ، أحببتُ ان اطبع كتابي هذا ، وكانت المراقبة في ذلك الحين ، شديدة جداً ، فخشيةً من ان يُمعن فيه المراقبون — وكانوا خليطاً من انكليز وفرنسيس وعرب لبنانيين — شطباً وتعديلا ، خطر لي أن اطلع عليه ، صديقاً ، كان يومئذ ، على رأس الحكم في لبنان ، فقلت له : هذا كتاب عزيز عليّ ، واحب ان لا تنظر اليه المراقبة ، نظرة وجل أو عداء ، فتشوّهه ، وانا حريص على سلامته ، فاقرأه غير مأمور ، يتكون عندك فكرة عنه ، ما أشك في انها تحملك على مشاطرتي هذا الحرص ، قال : أوَ يكون كتاب مثل هذا ، تكتبه أنت ، في حاجة الى مراقبة ؟! أوفي متناول خطر المراقبة ! وفي مثل هذا العهد! عهد التحرر بعد العبودية ، والاستقلال

بعد الاستعمار ! اتركه لي ، اطالعه ، ثم ننظر في الامر . واطمئن .

وتركت لصديقي الكتاب ، واطمأننت . ومرت اسابيع ، فشهور ، فعاودت الصديق بالمسألة عن الكتاب ، وعاوده أصدقاء لي وله ، بالمسألة عنه ، ولكن الكتاب ضاع ... او ضاعت تلك النسخة منه . وكان ما يزال لدي نسخة ، كانت هي الاخرى بين يدي صديق كريم ، عالم قومي امين ، طلبت اليه ان يبدي لي ما قد يعوز الكتاب من ملاحظات ، استنير بها ، واهتدي بهديها ، وكان صديقي هذا نائياً ، ما للاتصال به حينئذ من سبيل . فلفّتني ملاءة من الم ، وعذاب روح ، واحاطت بي غيوم ، من خيبة أمل ، وضعف يقين . فانا أرجو لنفسي من صديقي هذا ، عذراً ، وامنح من نفسي ، لصديقي ذاك ، أو بالحري لذاك ، الذي كنت انا صديقه ، عذراً .

قد يرى القارىء ، في هذا التفصيل ، شيئاً ، يقول فيه ، انه لا يعنيه ، فرويد هذا القارىء الكريم ، انها نفثة مكلوم ، وقد يكون في بعثها هكذا ، شيء من العبرة ، وشيء من التنبيه ، ثم اننا نحن ، جماعة القلم ، لسنا من حديد وخشب ، وهَبْ اننا من خشب وحديد ، فان للحديد والخشب نوعاً من البثّ والانين ...

وبعد ، فلست أعرف ، من بين امم الدنيا ، أمة نزل بها من الكوارث والمحن ، ما نزل بهذه الامة العربية ، في عهد من الانحطاط طال امده ، ولم تفنَ ، أو تندمج في غيرها من الامم ، او يشد عليها الشلل على الاقل ، غير هذه الامة .

وقد كان من الاسباب الرئيسية الاولى برأيي ، في امتداد عهد

الانحطاط ، وفي امعان التفسخ ، وتفشي الضعف والفقر والذل في العرب ، جهل العرب انفسهم ، هـذا الجهل المركب ، أو الذي رُكّب لهم ، من أنواع من الجهل ، متفاوتة المقادير ، متنوعة الالوان . هـذا الجهل الذي اظلمت له آفاق العرب ، فتناولت هذه الظلمة ، بمقدار ، آفاق الدنيا كلها . فليس غير العرب ، أمة ، تستطيع ان تملأ الدنيا ، من غير ما تفريق ، بين العناصر ، والاجناس ، والاديان ، والالوان ، بالانوار الضاحكة المحسنة : أنوار الهدى ، والعدل والصلاح والسمو . وستفعل . ولكن ، لكي يقدر العرب ، على حمل هذه الرسالة ، يجب أن تنير هذه الانوار من جديد ، آفاقهم اولاً ، ثم يفيضون منها على الدنيا ، كما فعلوا من قبل ، ما شاءت لهم مكارم الاخلاق .

ولن يؤدي العرب ، رسالتهم هذه ، قبل أن « يربحوا » قضيتهم القومية ، وهذه هي قضيتهم ، يصورها هذا الكتاب المتواضع ، فيجعل منها صورة ذهنية ، بارزة واضحة .

ولست اعني بقولي هذا ، انني ادّعي الاحاطة ، بكل ما يمكن أن يُكتب في موضوع هذا الكتاب ، استغفر الله ، ولكنني أعتقد ، انني فتحت الباب ، لاهل الفكر والقلم ، من أولي العلم الغزير ، والاطلاع الوافر ، والايمان المكين ، واين انا من هؤلاء !

وسيشعر القارىء الكريم ، بانني تعمّدت طريقة السؤال والجواب ، تعمداً ، في كتابي هذا ، واخترت السهولة في التعبير متعمداً أيضاً ، وذلك لأسهّل لجمهور القارئين ، استيعاب الفكرة التي

اعالجها ، إستيعاباً تاماً . فما انكر ، انني ، نويت ، منذ ان كتبت أول سطر من هذا الكتاب ، ان اخاطب « الجماهير » العربية ، في الدرجة الاولى ، بكتابي هذا الصغير .

واني لمتوجه الى الله سبحانه وتعالى ، بكل ما في ذاتي العربية ، من ايمان وحب ، أسأله أن يكون في هذا العمل الضئيل ، شيء من الخير ، لامّتي ، مهما يكن قليلاً ، ذلك حسبي ، وهو خير مسئول ، وهو ولي العاملين المؤمنين الصابرين .

بيروت ٥ حزيران سنه ١٩٤٦

علي ناصر الدين

الرسالة القومية

•

س – ١ – هل انت قومي وما معنى ان تكون قومياً ؟

ج – – نعم انا قومي ، ومعنى ذلك ،انني عربي مؤمن بعبقرية امتي وبحقها في الحياة حرة ، مستقلة ، موحدة . ومؤمن بمستقبلها العظيم ، وبانني واخواني القوميين العرب ، بناة هذا المستقبل ، واننا رسل البعث العربي القومي ، والعظمة القومية ، ورسل الحق والقوة ، ورسل الخير الى العرب ، ثم الى الناس كافة .

ومعناه ،انني اعتبر كل عربي ،مهما يكن منشئوه ،ومهماتكن عقيدته الدينية ، اخاً لي ، متمما لقومي . وانني افهم المصلحة العامة واحترمها واعمل لها ، وانني اقدس الحق والبطولة والتضحية . واقدس العمل والواجب ، واحب النظام واتقيد به . واطيع رؤسائي واعتني بمرؤسيّ . وانني حارس العروبة ، احميها باخلاقي واقوالي واعمالي ودمي . فلا اقول الا الصدق ، ولا اعمل الا للحق ، ولا اخاف الا الله . وانشر هذا في اخواني العرب اجمعين .

س – ٢ – ما الذي يريده القوميون العرب وما هي رسالتهم ؟

ج – – رسالة القوميين العرب،هي رسالة القوة ، والحق،والخير والجمال ، الى العرب كافة . ويريد القوميون العرب ، من وراء ذلك، ان يخلقوا من الناشئة العربية ، ذكورا واناثاً، جيلا قويا سليما ، متماثل الشعور ، موحد الاهداف،صحيح التفكير ، عالي الهمة ، متين الاخلاق ، بعيد المطامح ، شديد الكبرياء القومية ، بتهذيب . يحترم نفسه ويقوم بواجبه . ويعمل لانشاء كيان قومي عربي قوي، يستند الى القومية الخالصة ، ويحارب الجهل،والفقر والمرض، والظلم ، وكل عصبية الا العصبية القومية ، جيلاً يفصل الدين عن السياسة،ويحرم على رجال الدين الاشتغال بها . ويعلم العربي اينما كان ،ان يتعصب بعنف لامرين : قوميته والحق .

العربي والأقطار العربية

•

س – ٣ – من هو العربي ؟

ج – – العربي هو كل من كانت لغته اللغة العربية [١] .

س – ٤ – إذن فالذين يتكلمون العربيـة من انكليز وفرنسيس والمان واميركان واتراك وفرس وغيرهم ... كلهم عرب في نظركم ؟

ج – – كلا . فان هؤلاء وان تكلموا العربية ، فاللغة العربيـة ليست لغتهم ، وحكمهم حكم العرب ،الذين يتكلمون الفرنسية والانكليزية والالمانية والتركية والفارسية ،وهم ليسوا فرنسيس ولا انكليز ولا المانين ولا اتراكاً ولا فرسا .

س – ٥ – ما هي الاقطار العربية ؟

ج – – الاقطار العربية هي الشام « سورية ، لبنان ، فلسطين ،

(١) كان المرحوم الشهيد عبد الوهاب الانكليزي يقول : كل من شاء ان يكون عربياً فهو عربي ... وقد حدثني احد كبار رجال النهضة العربية المؤمنين الاستاذ الكبير عارف النكدي انه سمع هذه العبارة من الشهيد المرحوم الامير عارف الشهابي .

شرق الاردن». والعراق ويتبعه الكويت. والمحمرة والحجاز ونجد وملحقاتها: «المملكة العربية السعودية»، واليمن بما فيها عدن وحضرموت، وكل ما يسمونــه المحميات. والبحرين ومسقط وعُمان، هــذا في آسية. ومصر والسودان وليبية، وتونس والجزائر ومراكش في افريقية.

س – ٦ – أتكون هذه الاقطار كلها للعرب. وتؤلف وطنــاً واحداً هو وطننا نحن العرب؟

ج – – نعم. ان هذه الاقطار كلها للعرب، تؤلف وطناً واحداً هو الوطن العربي، وطننا الكبير جميعاً.

س – ٧ – ولكن اهل قطر ما، من هذه الاقطار، ألا يَعتبرون قطرهم وطناً لهم؟ ولنأخذ اليمن مثلا أو بالحري مصر، ألا نقول لابن مصر، مصري، أليست مصر وطن المصريين؟

ج – – بلى. من غير شك. ولكن لِمـا ان المصريين عرب كاليمنيين والعراقيين والشاميين، اهل «الشام» (سورية، لبنان، فلسطين، شرق الاردن) وغيرهم من اهل الاقطــار العربية، فيكون قولنا «مصري» إنما هو تعريف جغرافي موضعي ضيّق خاص، اي انــه عربي يقطن مصر. كما نقول فلسطيني او لبناني او الخ... وما نسبة مصر، الى وطننا العربي الكبير، إلا كنسبة بريتانيا مثلاً، ونورمنديا وبيكارديا الفرنسيات الى الوطن الفرنسي الكبير، او كنسبة بافاريا مثلاً، اوبروسية، او النمسا الالمانيات، الى الوطن الالماني الكبير. فالمصري عربي



كما ان النورماندي او البيكاردي او البريتاني فرنسي . وكما ان البافاري او البروسي او النمساوي الماني . وهكذا نقول في بقية العرب ، كالعراقي نسبة الى العراق والسوري [1] نسبـــة

(١) ان البقعة العربية المعروفة بـ « سورية » لم يذكرها اجدادنا الا باسم الشام او الديار الشامية « سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن » في كل مخلفاتهم ، في انتاجهم الادبي والعلمي ، وفي الاسفار التي تحمل اخبارهم وشؤونهم الحربية والسياسية ، الداخلية منها والدولية . ونرى ان « الجزويت » انفسهم يسمون هذه البقعة : برّ الشام « المنجد ، ص ٣٣٦ ، الطبعة التاسعة ، سنة ١٩٣٧ » والشام اسم للقطر كله ، كما هو اسم لدمشق المدينة وحدها . وذلك مثل اسم مصر فهو اسم للقطر كله ، كما هو اسم للقاهرة ، المدينة وحدها .

وعن « الضحى » الجزء السابع ، السنة السادسة :

« الشام » هو الاسم الذي يطلقه العرب ، على هذا القطر العربي ، الذي يسميه الغربيون « سورية » . جاء في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني ، والبستاني لبناني صميم ، ومن لبنان القديم ، في مادة « سورية » ما يأتي :

يحد سورية شمالا ، آسيا الصغرى ، وجنوباً الثغر الفاصل بينها وبين مصر ، وشرقاً الفرات والبادية ، وغرباً البحر المتوسط .

اقسامها — تنقسم لهذا العهد الى ثلاث ولايات هي : ولايات حلب ، وسورية ، وبيروت . ومتصرفيتين هما : لبنان ، والقدس الشريف .

مدنها — اهم المدائن السورية : حلب ، واسكندرونة ، وانطاكية ، واللاذقية ، وحماه ، وحمص ، وطرابلس ، ودمشق ، وبيروت ، وصيدا ، وصور ، وعكا ، وحيفا ، ويافا ، والقدس ، ونابلس ، وصفد ، وطبريه ، والناصرة ، والعريش .

وجاء في الجزء نفسه مادة « الشام » — (ويراد بالشام عند العرب نفس

الى سورية ، واليمني نسبة الى اليمن ، والحجـــازي نسبة الى الحجاز ، وهكذا... وهولاء كلهم عرب ، نُسبوا نسبة موضعية ضيقة ، الى البقاع التي يقطنونها . فالقومية العربية تجمعهم ، والوطن العربي كله وطنهم .

س – ٨ – ان هذه الاقطار ، لغتها العربية فعلاً ، ولكن اهلها ليسوا كلهم من سلالة واحدة عربية . ولا هم ، لهم دولة واحدة ، فكيف يمكن ان نعتبرهم كلهم ، ابناء امة واحدة ، ووطن واحد ؟

ج – – ان هذا السؤال كان ضروريا جداً ، لان في الجواب عنه خيرا كثيراً للعرب اجمعين ، ومفتاحاً في ايـــدي القوميين الحقيقيين ، جنود العروبة ، ومن يؤمن ايمانهم ، يفتحون به للحائرين من العرب ، وللشعوبيين منهم ، ابواب المعرفة بالامة وبالقومية ، استناداً الى العلم والتاريخ ، والى فلسفة المجتمع . والجواب عنه هو هذا .

الامة

ان الامة غير الدولة . والمجموع القومي غير المجموع السلالي. وها نحن أولاء نحدد علمياً ما هي الامة الواحدة التامة :

ما يراد بسورية عند الافرنج) . وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي : « الشام » تُذكّر وتؤنّث ، وحدّها من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، وعرضها من جبل طي من نحو القبلة ، الى بحر الروم . وجاء فيه عن سورية : (واما سورية فموضع بالشام بين خناصرة وسلمية . والعامة تسميه « سوريّة » بالتشديد .)

ان الامة الواحدة التامة ، هي الجماعة من الناس التي تتوفر لها وحدة اللغة والتاريخ والادب ، والذكريات والتقاليد ، والمنافع والمطامح – وقالوا ووحدة الارض[1] – والشعور المشترك بالمفارح والمآسي ، وبعزّ الظفر ، وذل الانخذال ، بما يميّز هذه الامة عن تلك، ويجعل منها امة واحدة تامة . لا يوجد بينها وبين غيرها من الامم إلا صلة الانسان بالانسان، وما هو مشترك بين الناس كافة . وليست وحدة السلالة شرطاً في تكوين الامة الواحدة ، ولا قيام الدولة الواحدة، بشرط لوجود هذه الامة .

نقص في الوعي

ولا ننكر ان وجود الامة في مثل هذه الحال، أي محرومة من دولة تجمع شملها، وتوحّد ارضها، معناه انها ليست واعية تماماً. وكثيراً ما يقع ان امة واحدة ، تكون مبعثرة ومجزأة ، ولها دويلات متعددة ، كما كانت الحال في ايطالية ، مثلا، وفي المانية وفي فرنسة وغيرهن، فيكون ذلك، نتيجة ضعف الشعور القومي

(١) يمكننا ان نلاحظ انه قد تطغى امة على امة اخرى، وتسلبها ارضها فتصبح مشتتة مشردة، ومع ذلك تبقى، اذا كانت ذات تاريخ مجيد، وذات حيوية ومناعة ، امة واحدة تامة ، وعليه فلا تكون وحدة الارض شرطاً لوحدة الامة . وهي شرط لوحدة الدولة . مثال ذلك الامة البولونية . والامة الارمنية .

العام ، ونتيجة الوطنية المحلية ، الضيقة ،المسببةعن مطامع ذاتية خاصة، عند بعض الاقطاعيين، وبعض اصحاب الوجاهة والنفوذ ورجال الحكم ، وعن الجهل والتضعضع وقصر النظر وركود الطموح . وعليه فان اهل الاقطار العربية التي تؤلف الوطن العربي الكبير، يؤلفون بمجموعهم -رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم- امة عربية واحدة ، بفعل العوامل التاريخية والادبية واللغوية والاجتماعية ، وحكم الحالات الباقية التي ذكرناها ، والمتوفرة لهم جميعاً . ولا نقول بحكم الدم الواحد ، وان توفر هذا لهم اكثر من توفره لغيرهم من الامم المتمدنة . ولكي نزيد الامر وضوحاً نفصل ما ورد في هذا الجواب مجملاً، فنقول :

وحدة اللغة

ان اهل الاقطار العربية التي ذكرناها ، وقلنا انها تؤلف الوطن العربي، تتمتع كلها بوحدة اللغة ، فان لغة هذه الاقطار كلها ، اللغة العربية ،فاذا قيل مثلاً: ان ابن الشام ،لا يفهم لغة ابن العراق، وان هذا ،لا يفهم لغة ابن مصر ، الذي لا يفهم لغة ابن الجزيرة ، وان هذا لا يفهم لغة ابن مراكش أو تونس أو الجزائر ، قلنا ان هذا الاعتراض غير وجيه ، ولا هو في محله ، لانه يتناول اللغة العامية التي تستعملها اوساط معينة ، والمقصود بوحدة اللغة ، اللغة الفصحى ، وهذه اللغة هي لغة اهل تلك الاقطار جميعاً من مراكش الى البصرة .

يخطب ابن بنونه او ابن الناصري او ابن الثعالبي في المغرب ، فتموج لخطابه ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويكتب عبد الرحمن عزّام او عباس محمود العقاد او احمد الزيات او محمد حسين هيكل او ابرهيم عبد القادر المازني او زكي مبارك ، في مصر، فصلا او مقالا، فتهتز لهنفوس ملايين العرب في الشرق وفي الغرب . ويرسل بشارة عبـــد الله الخوري في لبنـــان، او عمر ابو ريشة او بدوي الجبل في « الشام » ، ورضا الشبيبي او علي الشرقي او احمد الصافي، في العراق، قصيدة، فتمشي لها القلوب في صدور ملايين العرب في الشرق وفي الغرب ، وهكذا... فضلا عن ان هـذه اللغة العامية نفسها ،لا تختلف الا في القليل القليل من المفردات ، وانها بفضل المواصلات الحديثة، التي سهلت لاهل كل قطر، الاختلاط باهل القطر الآخر ، اصبحت تـكاد تكون مفهومة من الجميع . واما اللهجة، فلا نخال احداً مهما يكن من سوء نيته، وقلة معرفته ،يحتج بها، فان بين محلة واخرى من مدينة واحدة، شيئاً من الفرق في اللهجة ، ثم ان اللغة العامية في كل قطر، هي الى الزوال اقرب منها الى البقـــاء ، بفضل الرقي الاجتماعي المطرد، الذي يتناول مختلف الاوساط، كما نشاهـــد ذلـك باعيننا في اوساط الشام. ويطّرد هذا الرقي ،على درجات متفاوتة في كل قطر . ويجب ان لا ننسى ،ان في كل وطن من اوطان البشر ،مثل ما في الوطن العربي، ففي فرنسة مثلا، كما يعرف الذين زاروا فرنسا او قرأوا عنها ، فريق من الفرنسيين الذين

يقطنون بعيداً عن المدن ، يكادون يحتاجون الى تراجمة بينهم وبين سكان المدن ، ولا سيما في باريس . ولا يعني هـــذا انهم يتكلمون لغة مستقلة عن اللغة الفرنسية تماماً ، ولكنها على كل حال ليست اللغة الفرنسية الفصحى ، ومع ذلك لم يقم من بين الفرنسيين ، من يقول ان في فرنسا امما متعددة. هذا من ناحية اللغة والادب .

الناحية التاريخية

اما من ناحية التاريخ ، فان احدا من اهل هذه الاقطار ، يعرف تاريخ بلاده ، لا يرى مـــا يفصل قطرا منها عن الاخر تاريخيا ، منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، فتاريخها كلها ، لاتنفك حوادثه آخذة بعضها برقاب البعض الآخر ، متصلة اتصال حلقات السلسلة الواحدة ، مما يُحتم ان تكون ذكرياتهم ، ذكريات واحدة ، سواء ما يدعو منها الى الفرح ام الى الحزن ، والى الامـــل ام الى الالم ، والى الرضى ام الى الغضب ، والى الحنين ام الى الحقد ، والى الاعتزاز والفخر ام الى غير ذلك من احساسات .

العادات والتقاليد

واما من ناحية العادات والتقاليد ، فان هـــذه التقاليد والعادات ، تكاد تكون واحدة في جوهرها حتى الان ، رغم ما منيت به هذه الاقطار ، منـــذ مئات السنين ، من تفكك ، ومن

عزلة ، كل واحد عن الاخر ، ورغم ماخضع له كل واحد منها ، منفصلاً عن الاخر سياسياً ، من الوان حكم الغريب الغاصب ، بعد ان غُلبت الامة العربية على امرها ، وذهب سلطانها . وليس الاختلاف الذي نراه بين قطر وقطر من الاقطار العربية ، في العادات والتقاليد ، سوى اختلاف سطحي ، يتناول ظواهر الامور دون بواطنها ، وقشورها دون لبابها ، ويتصل اكثر ما يتصل ، بطرق المعيشة وطرز اللباس ، وهو ناتج عن اختلاف طرق التعليم والتربية « وطرق التجهيل » التي اكثر من يضعها منذ زمن طويل ، ويتصرف بها ، الاجانب الغاصبون ، من مستعمرين ورسل استعمار ، ومبشرين ، وعن ان نصيب هذا القطر ، من المدنية الحديثة ، فوق نصيب ذاك القطر ، او ان قسط هذا القطر ، من العلم ، دون قسط ذلك القطر ، وهكذا ... وما عدا ذلك ، فليس من اختلاف في التقاليد والعادات ، ولا سيما ما يتصل منها بقرارة النفس ، واصل الطبيعة العربية ، ونسوق على ذلك امثلة معينة ، يقيس عليها غيرها من يشاء .

اولا – قضية الضيافة ، التي يتساوى النظر اليها عند العرب جميعاً ، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء .

ثانياً – قضية العرض ، الذي يقدسونه جميعاً في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء .

ثالثاً – قضية تفاخرهم بالشجاعة ، والعفة والكرم والنجدة وحماية الجار ، والوفاء وما الى ذلك ، في كل قطر من اقطارهم من

دون استثناء .

رابعاً – قضية اخـــذهم بمشيئة كبرائهم، وتصنيفهم هؤلاء الكبراء، في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء[1].

الميول والرغبات والامال

اما الميول والرغبات والآمال بشأن مصيرهم السياسي، وغيره فهي واحدة في كل قطر من اقطارهم من دون استثناء[2]. خذ لك مثلاً الحادثة التالية: كنت عضواً من اعضاء المؤتمر الاسلامي العالمي، الذي عقد في القدس سنة ١٩٣٢، والذي ظهرت فيه العصبية العربية، بقوة ملحوظة، وترتب على ظهورها بتلك القوة، امور، ليس ذكرها من شأن هذا الكتاب، وقد رأى ممثـــلو العرب في اجتماعهم هذا، فرصة، أبوا الا ان ينتهزوها، لعقد مؤتمر عربي، بعد ان يفرغ المؤتمر الاسلامي من اعماله، وقد انتهزوا هذه الفرصة فعلا، وفوضوا الى لجنة منهم – كنتُ احد اعضائها – وضع لائحة تحضيرية لمؤتمر عربي . وفي احد اجتماعات اللجنـــة، تناقش اعضاؤها في مادة من مواد اللائحة ملخصها: (ان البلاد العربية التي سُلخت عن السلطنة العثمانيـــــة بعد الحرب العالمية الكبرى وحدة لا تتجزأ) فاعترضت على هذا التحديد، وشاركني في الاعتراض، نفر من اعضاء اللجنة، طالبين حذف

(١) الكلام على الكيفية وليس على الكمية .

(٢) هذا من حيث النوع وقد تتفاوت الدرجات .

هذه الفقرة : (التي سلخت عن السلطنة بعد الحرب العالميـــة الكبرى) على اعتبار ان هناك بلاداً عربية غير هذه التي سلخت عن السلطنة العثمانية ، (بعد الحرب العالمية الكبرى) . غير ان الاكثرية، ارتأت ان تبقى المادة كما هي ، فبقيت. وفي اليوم الثاني لاجتماع اللجنة الاخير ، عُقد المؤتمر العربي ، وكان يضم ما لا يقل عن ستين الى سبعين شاباً من شبان العرب ، في آسية وافريقية . ووضعنا بين يديه اللائحة التحضيرية ، فقرأها احد أمنـــاء المؤتمر ، لكي يبحثها المؤتمرون بنداً بنداً . فما ان قُرئت هذه العبارة : « ان البلاد العربيـــة التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى وحـــدة لا تتجزأ) حتى وثب الى وسط المؤتمرين ، بخفة النمور ، وفي لحظة واحدة ، ثلاثة شبان من اعضاء المؤتمر ، كأنما كان الواحد منهم مشدوداً الى الآخر، لايستطيع الانفكاك عنه، وصاحوا بلسان واحد : ماذا ؟ فاشرأبت الاعناق الى المفـــاجئين ، وكاد المؤتمرون يلتهمونهم بعيونهم التهاماً .

ودهش الرئيس[1] لحظة ، ثم انبسطت اسرّته ، واخذ يُسكّن من فورتهم في لطف ، وسرى التساؤل بين المؤتمرين في خفة ، بسرعة البرق : من هـذا ؟ ماذا يريدون ؟ فاذا هم من شبان العرب في افريقية الشمالية . اذكر منهم حتى الآن، محمد المكي الناصري .

(١) عُقد المؤتمر العربي في دار الاستاذ عوني عبـد الهادي في القدس وترأسه المرحوم السيد رشيد رضا .

أما ماذا يريدون ، فقد تولى احدهم بسط ما يريدون ، قال :

ان بلادنا ليست من البلدان التي سلخت عن السلطنة العثمانية بعد الحرب الكبرى ، ومع ذلك فهي بلاد عربية ، فالى من تتركونها ؟ ونحن عرب مثلكم ، فلمن تريدون ان تتخلوا عنا ؟ ومن منكم يحمل التبعة في تسجيل هذا الامر ، في مؤتمر عربي قومي ، أمام سبعين مليوناً من العرب ، وأمام الاجيال المقبلة ، وأمام العالم باسره ؟

ومن البديهي القول ، ان الفقرة المذكورة ، بعد هذا الاعتراض المؤثر ، المستند الى الحقيقة والواقع ، طارت . وان المؤتمر ، استقبل الامر بالهتاف لهؤلاء الشبان وللامة العربية ، والبلاد العربية قاطبة في آسية ، وافريقية . حتى ان بعض المؤتمرين ، لم يملك نفسه من بكاء الفرح والاهتزاز .

اليس في هذه الامور التي بيناها ، ما يثبت اثباتاً قاطعاً ، لامرية فيه ، ان اهل الاقطار العربية التي مرّ ذكرها ، في آسية وافريقية ، انما يؤلفون امة عربية واحدة ، رغم تبعثرهم وتعدد دويلاتهم !!!

الدولة الواحدة

اما العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة ، لامة واحدة ، فاذا قلنا انها غير متوفرة كلها حتى الساعة ، للامة العربية ، فيكون قولنا صحيحاً ، وإلا لكانت تألفت هذه الدولة .

ومن اجل هذا وغيره، يعمل العاملون المؤمنون من العرب، في كل مكان .

س - ٩ - لقد عرفنا ما هي الامـــة الواحدة التامة ، وآمنا بعد تحديدها ، وبعد تبيان حال اهل الاقطار العربية ، بان هولاء ، إنما يؤلفون بمجموعهم ، امة واحـــدة تامة، فما هي العوامل التي يجب ان تتوفر لتأليف دولة واحدة، لامة واحدة ؟

ج - ان هـذه العوامل ، تكثر وتقل ، وتختلف وتتفق ، بالنظر الى وضع كل امة . على اننا والمراد في بحثنا هـــذا ، امتنا العربية ، نستطيع ان نحصر هذه العوامل مبدئياً فيما يلي :

اولا - وقبل كل شيء . الوعي القومي .

ثانياً - توفر القادة الاذكيـــاء المخلصين ،اصحاب الكبرياء القومية ، المنزّهين عن الدنايا .

ثالثاً - تبنّي إحدى الدول العربية القائمـــة ، فكرة انشاء كيان قومي عربي موحد، واعتبارها نفسها -من هذه الجهة- من العرب ، كما اعتبرت بروسية ، مثلا ، نفسها من الالمان، فوحدت المانية . وبديهي ان تقوم الدعاية في مثل هذه الحال- والدعاية المنظمة المخلصة سلاح قوي جداً - للدولة وليس للحكومـة . وللامة وليس للاشخاص، ومتى وجدت هذه الدولة فعلا -ولعلها موجودة - تحتم عليها التوسل لبلوغ هـــذا الغرض بوسائل ، سنأتي على ذكرها في المكان المناسب من هذا الكتاب .

الأمة العربية وبقية الامم

•

س — ١٠ — لماذا يزعم بعض الناس ان السوريين واللبنانيين — حسب التعريف الحاضر — والمصريين واهل افريقية الشمالية ليسوا عربا ، وهل زعمهم هذا صحيح ؟

ج — — كلا . انه غير صحيح . والذين يزعمونه ، انما يفعلونه لتفكيرهم السطحي ، وجهلهم ، او تجاهلهم العوامل والحالات التي تكوّن الامة ، وتوحد الناس في القومية ، او ذهابا مع مآرب ذاتية ، واغراض شخصية ، تعمي بصائرهم ، وتوقعهم في الضلال والتناقض ، واليك البيان :

ان الذين يزعمون هذا الزعم المجرم ، يستندون استناداً سطحياً لا قيمة علمية له ، الى ان (سورية) اي الشام [1] ، سكنها فيما

---

(١) ديار الشام ، او الديار الشامية ، او بر الشام ، او الشام باختصار ، نرجو ان يفهم منها القارىء : (سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن) كما هو الواقع ، من دون شرح بعد الان .

مضى من التاريخ البعيد، شعوب[1] كلدانية وعمورية وكنعانية واشورية وارامية وفينيقية الخ ... وعليه فيجب ان يكون اهلها ، كلدانيين وعموريين وكنعانيين واشوريين وارامين وفينيقيين...

وبالتالي سوريين[2] نسبة الى الارض – غير عرب !!!.

وهذا خطأ علمي تاريخي واجتماعي ، قبيح جداً ، ان نحن اخذنا به، بعد الذي ثبت لنا وبيناه من العوامل، لتكوين الامة الواحدة التامة، نكون اغبياء أو مضلّلين ، ولن يبقى في امم

---

(١) ان اطلاق كلمة « شعوب » على هؤلاء الناس فيه توسع لا مبرر له ينكره العلم . والصحيح انها قبائل وليست شعوبا .

(٢) ان الاب المحترم (لامنس اليسوعي) يسمي معاوية الكبير ، الخليفة ، والملك العربي القرشي ، ومؤسس الاسرة الاموية المالكة (الخليفة السوري !!.) فهل سمع احد في التاريخ بمثل هذا !! أوَليس هذا وحده كافياً للتدليل على نية هولاء المستشرقين المؤرخين ، وقيمة بعض نظرياتهم وارائهم العلمية ؟ واذكر ان اسم كتابه التاريخي هذا (تاريخ سورية ولبنان) . ان هذا التاريخ وحده، الذي يسمي مؤسس الدولة العربية العنصرية الوحيدة، بين الدول العربية (الخليفة السوري !!) انه وحده ، كاف لحمل من يشك في عروبة السوريين واللبنانيين ، اليوم ، على الاعتقاد بانهم عرب . فالذي يجرؤ على تسمية معاوية بن ابي سفيان العربي القرشي الاموي المكي، «سورياً»، لان عاصمة ملكه كانت دمشق ، ليوهم الناس ان السوريين غير عرب ، يثبت عكس ما يريد . ويدعو هذا الى الخاطر الاية الكريمة :

(يريدون ليُطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره) . .

الارض اليوم ، امة واحدة يصح ان تسمى امة . ثم يصبح كل قطر من الاقطار العربية ، امة قائمة بنفسها ، ذات قومية (ارضية) جغرافية خاصة بها ، ولكنها تكون امة مزيفة . ولن يبقى في الدنيا امة عربية ، او قومية عربية – وهذا ما يرمي اليه الاعاجم المستعمرون ، ودعاة السوء المأجورون من خبثاء عابثين وسذج مخدوعين – اذ انه ليس هناك ارض بعينها ، اسمها عرب ، لنقول (عربي) نسبة الى هذه الارض (١) والقومية عند هؤلاء يظهر انها (ارضية) والامة عندهم كذلك ارضية ، انهم يرمون الى تقطيع اوصال البلاد العربية ، وتفكيك اجزائها ، وتمزيق شمل ابنائها ، وتصويرهم غرباء بعضهم عن البعض الآخر ، ثم اعداء بعضهم للبعض الآخر ، وهكذا يسهل على الدول الاستعمارية ، القضاء على النهضة العربية التي تزعجهم ، وتهدد سلطانهم ، على الوطن العربي بالانهيار ، ويتمكنون من تحطيم العرب واستعمار بلادهم الى الابد . ونحن على يقين ان هذا لن يتم ابداً ، ما دام في الدنيا عربي ، وما دام هناك حرس العروبة ، ومن يؤمن ايمانهم .

وهذه الامم

وليست المسألة مسألة قول وهوى ، كلا ، بل هي مسألة علم

---

(١) لقد سمى مؤرخو الفرنجة (اليمن) العربية السعيدة .
« L'arabie Heureuse »

وعقل ، وتاريخ ومصلحة عامة . ونحن نستطيع أن نعطي انصع البراهين ، واقوى الحجج على ان الصواب والحق في جانبنا حينما نقرر ، ان اهل الاقطار العربية ، كلهم عرب قومياً [1] ان لم يكن عنصرياً ، قوميتهم القومية العربية [2]. وهم اغصان لشجرة واحدة ، هي الامة العربية . وفي تحديدنا الذي مرّ بك لمعنى كلمة (الامة) هذا التحديد الذي يقرّه علماء التاريخ والاجتماع ، ما يدل على صدق هذا القول وصوابه . وفوق ذلك ، بماذا يجيب هؤلاء الشعوبيون ، من خادعين ومخدوعين ، وهم من العرب ، وياللاسف ، سواء أكانوا مصريين ام يمنيين ام عراقيين ، ام شاميين ، ام الخ ... نسبة الى الارض – اذا نحن سألناهم مثلا ، عن الامم التالي ذكرها : الامة الانكليزية ، الامة الايطالية ، الامة الالمانية ، الامة الفرنسية ، والامة الاميركية [3] وقومياتهن . أيقولون أن هناك امة بافارية وامة بروسية ، وقومية بافاريه وقومية بروسية ، غير الامة الالمانية والقومية الالمانية . وان هناك امة بيكاردية وقومية بيكاردية ، وامة بريتانية ، وقومية بريتانيه ، غير الامة الفرنسية والقومية الفرنسية ، وهكذا على هذا السياق ، ام ماذا ؟ وقد كانت هذه الاقطار جميعها ، شأنها ، شأن الامة العربية

---

(١) نقول قومياً ، وليس سلالياً او عنصرياً .

(٢) سيأتيك تحديد القومية جواباً عن سؤال : ما هي القومية ، في آخر هذا الفصل .

(٣) نعني ابناء الولايات المتحدة الاميركية خاصة .

اليوم ، مجزأة متفسخة ، متعددة الحكومات ، وكان اهلوها ، شأنهم ،شأن اهل هذه الاقطار ، اي شأننا نحن العرب اليوم ،وها هم اولاء الان ، أليسوا في ايطالية امة واحدة ، ووطناً واحدا . ومثلها في انكلترة وفي اميركة وفي فرنسة. ذلك انــــه ما كاد الشعور القومي ، يستيقظ عندهم ويصبح وعياً قومياً في نفوسهم ، ويتوفر فيهم القادة الاكفاء المخلصون ، حتى تلاشى في نفوسهم الشعور الوطني المحلي ، او الاقليمي الضيق ، واصبحوا سياسياً ودولياً ، كما كانوا في الواقع تاريخياً وادبياً واجتماعياً ،وطناً واحداً وامة واحدة ، فما الذي يمنعنا نحن العرب – ونحن اكثراشتباك وشائج ومصالح منهم – أن يفضي بنا الوعي القومي – بالمعنى المتواضع عليه اليوم – الى ما افضى بهم اليه ، والوسائل متوفرة والايام مسعفة ، ان نحن عقلنا ؟! .

س – ١٠ – ما هي القومية ؟

ج – القومية هي مجموعة من الخصائص ، والمزايا ، والطباع والتقاليد ،والعادات ،والفضائل ،والعيوب ،وطرق النظر الى الكون والنظم الاجتماعية ، تنطبع بالجملة ، على مرّ الاجيال ، وبدرجات متفاوتة ، من حيث الكم او القدر ،في نفوس قوم ، ُتعرف بهم وُيعرفون بها . وتجمعهم جامعة واحدة لغوية وادبية وتاريخية ، وروابط مشتركة ،من ذكريات وآمال ومصالح ومؤثرات اقليمية ، متممة بعضها للبعض الآخر ، من دون ان تقوم فيهم جميعاً ، الوحدة العنصرية .



موجات الجزيرة

•

س – ١١ – ولكن اليس صحيحاً ما يقولونه من ان شعوباً[١] احثية وعمورية وكلدانية واشورية وارامية وفينيقية الخ ... سكنت فيما مضى من التاريخ (سورية) زمنا طويلا ؟

ج – بلى ،ان هذا صحيح ، وما كنا لننكر الحقائق ، ونزور التاريخ تزويرا ، لاغراض ومآرب – كما يفعل بعض الناس – كلا ، اننا لا نفعل هذا ولن نفعله ابدا . ان هذه البقعة من الوطن العربي (الشام) ، كانت مدة من الزمن ، مسرحاً لهذه

---

(١) سبق ان اشرنا الى ان هؤلاء الناس لا يصح ان تطلق عليهم كلمة (شعوب) وانما هم قبائل ليس غير .

القبائل التي يحتج بها اعداء النهضة العربية ، واعـداء العرب ، بعضهم عن خبث ومروق ، وبعضهم عن جهل وحسن نيـة ، ولكن هذه القبائل نفسها اكثرها بطون من العرب [1] ، ثم اين هي هذه القبائل، وما هو الارث الحي الذي خلفته ؟انها لم تترك لها اثرا حيا على الاطلاق ، وقد تلاشت هي ولغاتها وعاداتها وكل ما يمت اليها بسبب .

لقد لاشتها العروبة الخالصة الجبـــارة التي لا تتلاشى ولا تموت. وسنفصّل هذا استناداً الى العلم، والى التاريخ الصحيح ، والى المنطق السليم ، والى الواقع الذي هو نتيجة تفاعل عناصر المجتمع ، وغلبة بعضها على البعض الآخر ، لتصدق – بالجملة – الحكمة القائلة : (لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى إلا الاصلح).

كانت هذه القبائل (الكلدية والعمورية والكنعانية والارامية والفينيقية)واخواتها، تنزح من جزيرة البحرين ، ومن شواطيء البحر الاحمر، ومن بين النهرين [2] وبقية انحاء الجزيرة العربيه الى مصر ، والى بلاد الشام ، الدفعة بعد الاخرى، في الزمن البعيد جداً [3] وهي قبائل تمت الى العرق العربي بصلة ، كما اثبت ذلك

---

(١) (سايس) الانكليزى – اجرومية اللغة الاشورية . – (إشرودر) الالماني – مجلة الشرق الالمانية – سنة ١٩٣٨

(٢) « بت » الانكليزي .

(٣) ان اول الهجرات السامية ، وتمت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل المسيح – القبائل الكلدية – واخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر ، فتحول شبه

كبار المؤرخين، الذين لا يصح اتهامهم بالتغرض للعرب، مثل العالم الانكليزي (سايس) والعالم الالماني (إشرودر)[1] فضلا عن مؤرخي اليونان. ويقول العالم العربي الكبير، الامير شكيب ارسلان، مستشهداً باقوال المستشرقين من علماء التاريخ والاجتماع في هذا الصدد، ما معناه: (ان اكثر الشعوب السامية انما هي بطون من العرب. وان الاراميين كلمة معناها سكان الجبال — وقد قال ذلك المرحوم المؤرخ جرجي زيدان وغيره — وان الكنعانيين كلمة معناها، سكان السهول، وليس المقصود بالاراميين او الكنعانيين «امة». اما السريان فهم الاراميون انفسهم، سماهم اليونان سريانا، وهؤلاء واولئك جميعاً يمتون الى العرب بصلة. كما انه يوجد في اواسط آسية، الايرانيون والطورانيون، وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسباً، مع انهم في الحقيقة من شجرة واحدة. واما معنى كلمة الايرانيين فسكان الحواضر، ومعنى كلمة الطورانيين، سكان البوادي). ويتابع الامير الكلام، فيقول مستشهداً (هيرودوتس) اليوناني الملقب

جزيرة سيناء، الى مصر، فنزلتها على سكانها الحاميين، وتولد من المزيج الذي حصل بين الفريقين، المصريون القدماء. وفي الوقت نفسه تقريباً، تدفقت هجرة سامية ثانية، بطريق ساحل الخليج الى وادي دجلة والفرات (العراق). وفي منتصف الالف الثالث قبل المسيح، قذفت الجزيرة العربية بموجة جديدة من البدو، وهم المسمون (العموريون) ومنهم الكنعانيون الذين نزلوا جنوبي (سورية) والفينيقيون الذين نزلوا الشواطىء.

(١) راجع الصفحة ٣٥ من هذا الكتاب – تعليق.



هجانة

بـ« أبو التاريخ » وبالعلامة الانكليزي « بت » : (ان قسماً من الفينيقيين جاؤا من جزيرة البحرين ، وقسماً آخر من سواحل البحر الاحمر ، وعلى كلا الحالين فهم عرب من نفس جزيرة العرب) .

وقدقام العلامة الانكليزي« بت »بحفريات كثيرة، في جزيرة البحرين ، اثبتت له هذا . ويذهب العلامة « هيرخت » مؤلف كتاب « الحفريات الاثرية في القرن التاسع عشر » الى ان الملك « مالكي صادق » الذي كان يملك في « سورية » : الشام ، يوم جاءها ابراهيم الخليل ، كان عربياً .

ونحن نقول : فلنفرض انهذه الحقائق، التي يثبتها المحققون من علماء التاريخ والاجتماع ، لا اصل لها ، او انها كلها اخطاء واوهام ، فان امامنا ما يثبت كون اهل الديار الشامية واهل مصر والسودان وافريقية الشمالية ، عرب ، لا قومية لهم الا القومية العربية ، بما لاتنفع فيه مكابرة ، ولا يوهن من بلاغة دلالته القوية ، تخرص او تفلسف، للتضليل ، وهو : الواقع . الواقع المُشاهد المحسوس الملموس المُفحِم في اللغة والادب والاجتماع ، والتقاليد ، والميول ، والذكريات ، والامال ، والمطامح . هذا الواقع الذي هو مظهر من المظاهر، لمخلفات اجيال مليئة بتفاعل العناصر، وتطاحنها ، في مقدمات نوجزها ،فيما يلي :

في زمن يرجع الى ما قبل الزمن المعروف تاريخه بجلاء ، سكنت الديار الشامية ، قبائل عرفت بالكلديين والعموريين



تأبير النخل

والكنعانيين والاشوريين والفينيقيين ، الخ ... ونريـــد ان نعتبر هذه القبائل كلها – خلافاً للحقائق التاريخية والاجتماعية التي اقرها العلماء – قبائل ، بل شعوباً ، لا تمت الى العرق العربي بادنى صلة ، وانهـــا غريبة عن العرب ، كالترك ، والفرس ، والطليان ، والالمان ، والانكليز ، والفرنسيس وغـــيرهم من الاعاجم. ففي ذلك الزمن نفسه ، سكن هذه الديار ناس ، اسمهم في التاريخ : عرب . اذ انه قد ثبت :

اولا – كون العرب – العرب بهذا الاسم نفسه – سكنوا « سورية » : الشام ، « من على عنق الدهر » – على حد تعبير العالم الجليل الامير شكيب ارسلان – ، اي من اقدم الازمنة ، كما قرر ذلك ، العلماء الذين استشهدنا باقوال فريق منهم .

ثانياً – انه بعد نزوح هذه القبائل ، من الجزيرة العربية الى الشام ، في فترات من الزمن مختلفة ، اندفقت من الجنوب الى هذه الديار ، في فترة من الزمن التاريخي الجلي جداً هذه المرة ، موجات عربية يمنية ، أسست في البلقاء (شرق الاردن) مملكة عزيزة ، ما يزال من اثارها حتى الساعـــة ، في وادي موسى وجرش ، ومأدبة ، وغيرهن ، ما يُدهش ويدعو الى الفخر[1] .

---

(١) أن الانباط الذين اسسوا هذه المملكة في البلقاء حوالي سنة ٥٠٠ قبـل المسيح ؛ هم من عرب اليمن ، كما اثبت ذلك مؤرخو اليونان : هيرودوتس – القرن الخامس والرابع ق . م . وتيوفراست وبروسس – القرن الرابع والثالث ق . م – الذين استشهد بهم ، ونقل عنهم ، مؤرخو العرب فيما بعد .

ثالثاً – ان مملكة عربية في زمن تاريخي ، اكثر جلاءً هذه المرة ، تأسست في تدمر ، ما يزال الذين يعرفون تاريخ بلادهم من العرب، يذكرونها بفخر . فقد بقيت هذه المملكة الى سنة ٢٧٢ ب.م. اي الى ما بعد استيلاء الرومان على الديار الشامية، بثلاثماية واثنتين وسبعين سنة . اذ ان الرومان قد استولو على هذه الديار في السنة ١٠٠ ق.م.

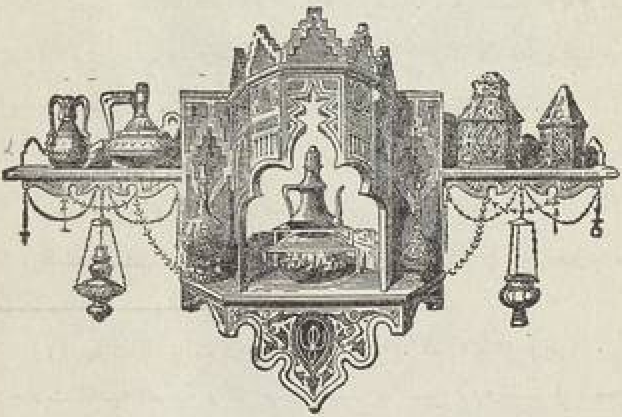
واشهر ملوك العرب في مملكة تدمر ، كما هو معروف حتى الان ، الملك أذينة ، والملكة زنوبية . وفي سنة ٢٧٢ بعد الميلاد تغلب الرومان على الملكة زنوبية، بما لا مجال لشرحه هنا، ووقعت المملكة تحت « الانتداب » الروماني [١] ...

رابعاً – ان موجات عربية اخرى، اندفقت على ديار الشام منها الغسانيون ، وهم من القبائل العربية اليمنية : « الأزد » فأسسوا فيها بعد مملكة تدمر ، مملكة ظلت كما هو معلوم ، زمناً

---

(١) كانت السلطات القائمة في سنة ١٩٦٠ قد اعتقلتنا ونفرا من كبار رجالات القضية العربية وكرامهم، ونفتنا الى تدمر ، ووضعتنا في السجن . في ثكنة عسكرية لما يسمونه (فرقة الغرباء) ثم بعد نكبة فرنسا أخرجنا من السجن الى البلدة، حيث بقينا في اقامة جبرية مدة من الزمن، تيسر لنا خلالها ان نشاهد ، فيما شاهدناه من الاثار ، اثار المملكة العربية التدمرية . وانها في الواقع لاثار ضخمة بديعة، ماتزال تنطق بعظمة العرب التدمريين ، وملكتهم العربية الجليلة زنوبية ، وتثير في نفس كل عربي يقع نظره عليها ، الشؤون والشجون .

طويلاً ، حليفة للرومان ، واذا قلنا ان هذه المملكة كانت تتأثر بالرومان، نظراً الى وضع الغسانيين، بالنسبة الى الرومان يومذاك، فلا ينفي هذا، انه كانت هناك مملكة عربية غسانية .



العرب بعد الرسالة

•

.... الى أن اندفقت هذه المرة ، الموجة العربية الكبرى الصافية المتبلورة ، في القرن السابع ب.م . وكان بها الفتح العربي الاخير الواسع ، الذي حرّر « الشام » ومصر، من نير الرومان ، كما حرّر « العراق» من نير الفرس، وحمل الى العالم كله، رسالة الهدى والحرية وكرامة الانسان . فمن المفروض علمياً، ان لم نقل من الثابت يقيناً – كما يشهد الواقع – ان تكون هذه القبائل العربية ، التي سكنت ديار الشام ،وغيرها من على عنق الدهر ،وهذه الدول العربية،التي تعاقبت عليها،من ايام « مالكي صادق » الى الفينيقيين والانباط ، الى الضجاعمة ، الى الغساسنة ، الى عرب بعد الرسالة ، كانت اقوى من غيرها ممّن سكن هذه الديار ، في كل ناحية من نواحي الحياة واصلح للبقاء، فاثرت في تلك القبائل و (الشعوب) تأثيراً تدريجياً عميقاً ، حتى انها لاشت لغاتها وادابها وثقافتها وتقاليدها ، ثم لاشتها هي نفسها، فيما بعد، فتلاشت. وبقيت لغة العرب المصطفاة،واداب

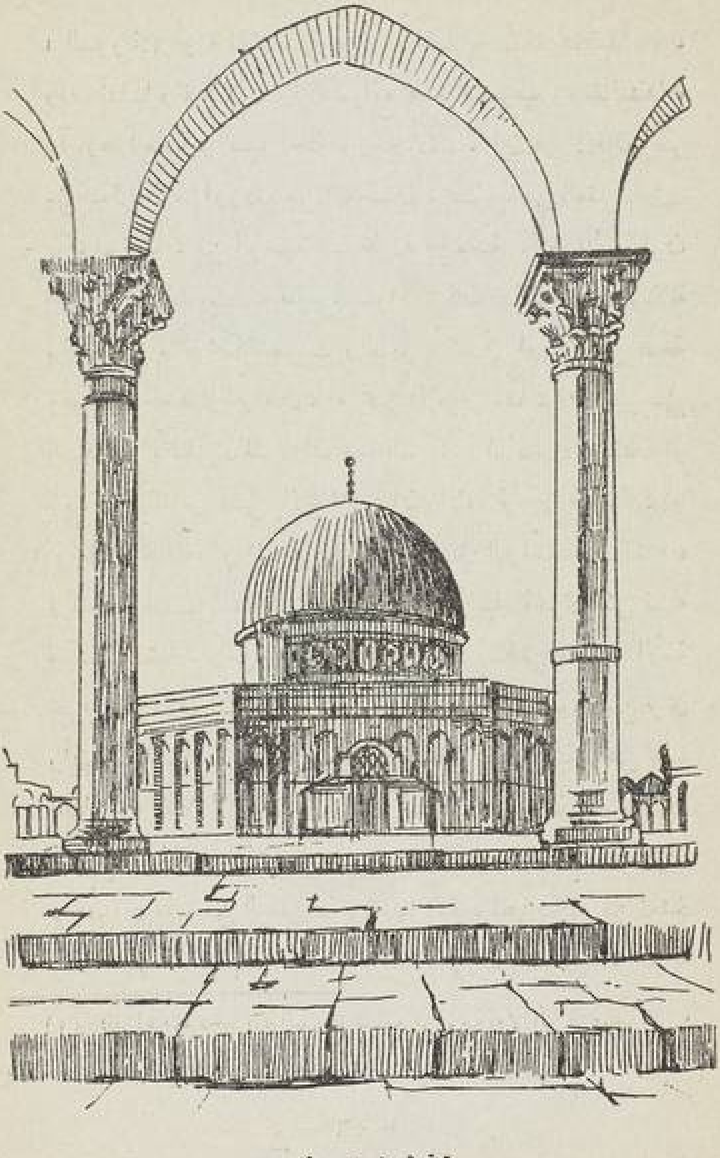
العرب ، وثقافة العرب وتقاليد العرب ونُظُم العرب ، كما هو الواقع المُشاهَد المحسوس الملموس المُفحِم ، لانها أصلح للبقاء ، فبقيت العروبة ، واستقامت القومية العربية ، في هذه الاقطار العربية جميعها .

المغالطات التاريخية والتضليل

س – ١٢ – الا يجوز ان يتشبث الشعوبيون ،وغيرهم ، بزعمهم ، رغم هذه البراهين والحجج ، لاغراض ومآرب في نفوسهم ، ويضللوا السذّج والجهلاء ، بما قد يستندون اليه ، من اقوال بعض المؤرخين المُغرضين ، أو غير المحققين ، لا سيما ، والامور التاريخية ، كما يُثبت الاختبار ،فيها أحيانا شيء من الغموض ،ومن المغالطات ومن الهوى ، فما الحيلة في مثل هؤلاء ؟؟

ج – ان المفروض في مثل هذه الحال ، ان يأخذ العاقل ، باقوال المؤرخين البعيدين عن الغرض ، ويقضي العلم بان يُؤخذ بالقول التاريخي ،الاقرب الى المعقول ،والى ما يدل عليه الواقع ، فان بلغت الاهواء بمُتغرض ما ، ان يكابر في دليل الواقع ، بعد الادلة التاريخية ، وجب ان نهمله ، واذا اشفقنا عليه وبالغنا في التساهل معه ، في مثل حالتنا هذه سألناه :

اين اللغات الكلدانية والاشورية والفينيقية ، أو اين اللغة



قبة الصخرة — القدس

« السورية » أو « اللبنانيـة » أو « المصرية ـ الفرعونية[1] » ، واين آدابها وثقافاتها ، واين شرائع هذه الشعوب ، وتقاليدها ، وآثارها العلمية والفنية الحية ، وغير ذلك ، اين هي ؟ فان اصر على نكران ما اوردناه من الناحيتين ، مما يقضي العقل بان يكون ثابتاً ، من الوجوه التاريخيـة والعلمية ، أي ان يكون اهل الديار الشاميـــة عربا ، سواء أكان ذلك بحكم السلالة والعنصرية ، أم بحكم التعريب والصهر ، اللذين اوردنا على صحة وقوعها الحجج والبراهين ، أم بحكم الامرين معاً ، ان اصرّ على النكران ، فمعنى ذلك ، ان هذا النا كر « المُصر » يعتقد ، أو يريد حمل الناس عـلى الاعتقاد ، ان الامة تزوّر تزويراً ، أو تُرتجل ارتجالا ، أو انها غرسة ، نغرسها في التراب حين نشاء ، ونقتلعها حـــين نشاء ، لنغرس مكانها غرسة اخرى متى نشاء وكيف نشاء . ومن كان هـذا شأنه لا يُناقش ، فتيار الأمة يجرفه من دون أن يعبأ به ، أما نحن القوميين العرب ، ومن يرى رأينا من المؤمنين عن اقتناع علمي وعقلي ، بعروبة اهل هذه الديار ، والذين لا يسعنا ان نفتح اذاننـــا لتفلسف الشعوبيين وتخريجات المغرضين ، والذين نعلم علم اليقين ، ان مسألة كون « جماعة » ما ، من البشر امة واحدة تامة ، مهما يكن من تعدد منازلها ، وكثرة البقاع المنتشرة فيها ، وترامي اطرافها ، مسألة

(١) للفراعنة ، رغم ان ليس هناك لغة فرعونية ، ولا اثر فرعوني حي ذي شأن . سنشير اليه فيما يلي من الصفحات .

لا تزوّر تزويرا، كما يزوّر المكتوب أو السند مثلا ، ولا تحصل بالطريقة التي يحصل بها صبغ ثوب ما ، تضعه في ماعون الصباغ فيخرج في الحال اصفر أو اسود ، كما تشاء ، وإنما هي فوق النسب والشعور ، مسألة عمل عوامل لغوية وتاريخية وثقافية واقتصادية وسياسية ، خلال قرون واجيال كثيرة متعاقبة ، أما نحن ، فما يسعنا الاعتقاد بمثل هذا ، ونربأ بعقولنا ونفوسنا عن مثله ، ويفعل فعلنا كل عاقل منصف . وما قلناه في اهل الديار الشامية ، ولا سيما بأهل لبنان، نقوله على القياس نفسه، في المصريين واهل افريقية الشمالية ، استناداً الى ما تقدم من مفعول العوامل التي ذكرناها ، هذا عدا ان اهل هذه الاقطار يشعرون مثلنا بانهم عرب ، ويفكرون مثلنا في الاتحاد العربي ، بالرغم مما يستعمله الغاصبون المستعمرون ، من مختلف الوسائل لاماتة الشعور العربي في نفوسهم . وقد اعطينا على ذلك مثلاً حياً[1] . وللشعور والارادة في مثل هذه الحال قيمة عظيمة جداً .

س – ١٣ – هل ان تعريب العرب لتلك القبائل و « الشعوب » ، وملاشاتهم للغاتهم ، وبالتالي صهر العرب اياهم ، في القالب العربي ، قد تم قبل الفتح العربي الكبير ، أم انه بقيت منهم بقية ، حتى هذا الفتح ثم ذابت في العرب بعده .

ج – – ان هذه « الشعوب » كما اثبتنا فيما تقدم ، كانت تنفعل بالعرب انفعالا تدريجياً ، وينصبغ فريق كبير منها بصبغتهم ، بالنظر

(١) راجع الصفحة ٢٥ – ٢٧ من هذا الكتاب .

الى توالي الموجات العربية البدوية من الجزيرة، والى تعاقب الدول العربية التي ذكرناها [١] ، على الديار الشامية كما تقدم ، على انه بقيت بقايا ، ولا سيما في المدن، حتى الفتح العربي الاخير، محتفظة بشيء من خاصياتها . ومنها « الاراميون » الذين ، يعرفون بالسريان ، كما سماهم اليونان - ومعنى كلمة « اراميون » سكان الاعالي من الارض - وقد ذكرناه - وقد كان مصير هـذه البقايا ، كما يُفهم من مؤرخي العرب ، ومؤرخي الأجانب انفسهم بعد الفتح العربي الاخير ، كما يلي :

فريق ، قتل في المعارك التي دارت بين جيوش العرب المنقذين وبين جيوش الرومان ، وفريق نزح مع الرومـــان المغلوبين والفريق الذي اختار البقاء بعد الفتح ، هضمه العرب الاقحاح الخُلّص - هذه المرة - فذاب فيهم ذوباناً تامـــاً ، فيكون التعريب الشامل ، قد تم بعد الفتح العربي الاخير . ولا سيما في مصر وفي افريقية الشمالية . ويكون اهل الاقطار العربية التي تقـــدم ذكرها ، اصبحوا يؤلفون اليوم بمجموعهم ، امة عربية واحدة تامة ، رغم تعدد القبائل ، والشعوب ، التي سكنت كثيراً او قليلاً ، في الماضي ، هذه الاقطار او بعضها ، ورغم تبعثرهم في بقـاع اختلفت اسماؤها ، ورغم الحدود المصطنعة بين قطر وقطر ، ورغم وضعهم السياسي وتعدد حكوماتهم ، ورغم تسلط دول اجنبية

(١) راجع من الصفحة ٣٦ - ٤١ من هذا الكتاب .

مختلفة على جزء كبير من بلادهم .

س – ١٤ – ولكنه حدث بعد الفتح العربي هذا ، وانشاء الدولة العربية الكبرى ،أن هبت على هذه الدولة عواصف فتّتتها ، ووضعت على رأس الحكم في بعض اجزائها ملوكا وحكاماً غير عرب ، ثم استولى الترك على البلاد العربية ، وظلوا في بعضها بالاسم وبالفعل ، مدة طويلة جداً ، فقد استمر حكمهم في الديار الشامية ، مثلاً ، اربعماية سنة ونيّف ، أفلم يدخل على العرب خلال هذه المدة الطويلة عناصر غريبة ... فارسية ، وفرنجية ، وتركية ، وغيرها ؟!

ج – – بلى ، طبعاً ، على ان هذه العناصر ، لم تؤثر في العرب إلا بمقدار ، وتأثرت بهم . ونعني بقولنا « لم تؤثر في العرب »ان هذه العناصر ، لم تستطع ان تؤثر في عروبتهم ، وظلوا يشعرون في قرارة نفوسهم ، بانهم عرب ، او كما يقول بعضهم « اولاد عرب » ويباهون بذلك [1] وكل ما طرأ على حياتهم من تأثرات

(١) كل واحد من اهل البلاد العربية ايّاً كان الاقليم الذي يعيش فيه ، والمذهب الذي نشأ عليه ، يقول لك حتى هذه الساعة عن نفسه « انه عربي » فيقولونها بتسكين الراء في افريقية الشمالية . وفي لبنان خاصة ، وفي بقية انحاء الديار الشامية عامة ،يعرّفون عن نفوسهم بقولهم–ولا سيما في ديار الغربة– « اولاد عرب » وكان يُغني عن ذلك ،قولهم عربي وعرب . ولكن التعبير ،آت كما نظن من اصطلاح الاتراك في الكلام على العرب ، فكانوا يقولون «عرب اوغلو » اي ابن عرب . ومن غريب امر بعض الناس ، خصوصاً عندنا في لبنان ، أنهم يستنكرون القول بانهم عرب ، او يترددون فيه ، فاذا قلت لهم

لا بد منها بطبيعة الحال ، لاختلاط هذه الاقوام بهم ، صهروه ، ووسموه بسِمَة عربية . وقد اثر العرب من ناحيتهم ، في هذه العناصر وعرَّبوها لغة وادباً وعاداتٍ وتقاليد اجتماعية ، وبالرغم من ان سيادة الترك الغاصبين، في البلاد العربية، كانت طويلة الامد اكثر من كل سيادة اجنبية اخرى ، فانهم لم يستطيعوا ان يترّكوا عربياً واحداً، في اثناء حكمهم الطويل. لقد استعمروا البلاد العربية سياسياً ، ولكن العرب في اثناء هذا الاستعمار قد استعمروهم ادبياً . فاذا كان الحكام السادة المُطلَقون انفسهم، من اتراك وغيرهم ، لم يستطيعوا في هذا الصدد شيئاً ، فما يكون شأن غيرهم في هذه الناحية ممن كانوا رعية وهم قلّة ؟! وفي هذا وحده ما يدل دلالة واضحة جداً ، على هذه الخاصة العجيبة في العربي ، وهي انه في كل الاحوال يستطيع ان يُذيب في بحره كل احد ، ولا يستطيع احد ان يُذيبه. ونسوق مثلا على ذلك حاضراً محسوساً ، وهو هذا الواقع في الاقطار العربية كلها ، وبصورة خاصة في الديار الشامية ، وبصورة اخص في افريقية الشمالية ، حيث الاستعمار على اشده ، وحيث جزء منها « الجزائر » مر عليه تحت نير الاستعمار الجديد الذي يتعمد الاذابة ، اكثر من ماية سنة ، وما تزال ، رغم ذلك

ألستم اولاد عرب ؟ اجابوا من دون تردد « بلى لكن شو نحن » وفي مصر نفسها تندثر الفرعونية الموهومة ويستفيق اخواننا المصريون على عروبتهم

اصوات فيها تتعالى، واحزاب تؤلف في سبيل العروبة ، وانشاء دولة عربية . أفلا يقوم هذا شاهداً حياً ناطقاً على صحة ما نقوله وثبوته.. الا يدل على ان هذه الشعوب كلها قد انشعبت من شجرة واحدة ، هي الامة العربية ،لذلك فهي متساوية كلها تقريباً في قوة الخاصة العجيبة التي ذكرناهـا ، وفي الحنين الى العروبة ، والرغبة في انشاء الكيان العربي القومي الموحد ، أو الاتحاد العربي[1].

(١) قد يكون هناك تفاوت في الدرجة . وليس في النوع تفاوت .



جامع الكاظمية - بغداد

الاقليمية الهدامة

●

س — ١٥ — لماذا يقولون اذن امة عراقية، وامة مصرية، وامة سورية وامة يمنية الخ ... حين الكلام على هذه الشعوب التي تسكن هذه الامصار ؟

ج — ان مدلول كلمة « الامة » كما نفهمه اليوم ، لم يكن محدداً وواضحاً عند اجدادنا ، ولذلك اسباب ليس هنا موضع ذكرها . على انهم استعملوا هذه الكلمة لما قد يقرب مما نريده اليوم . وفي معاجم اللغة العربية : « الامة » : الجماعة من الناس والجيل . والقرن . واهل الزمان الواحد . وغير ذلك . وهذه التفاسير كلها ، لا تنطبق على ما نريد وما هو معروف بكلمة « الامة » عدا التفسير الاول : « الجماعة من الناس » شرط ان نُحدّد هذه الجماعة ، ونعرّفها تعريفاً جامعاً . وهي لم تكن كذلك عند اجدادنا ، ايام المدنية العربية الاولى ، اي قبل المسيح وبعده بقليل . ولا أيام المدنية العربية الثانية ، اي بعد الرسالة التي أداها الرسول العربي الامين ، على احسن وجه واكمله ، فاذا أضفنا

الى القول « الجماعة من الناس » قولنا : التي لها لغة واحدة وادب واحد، وثقافة واحدة ، وتاريخ واحد ، وذكريات وعادات وتقاليد واحدة ، والتي لها مميّزات خاصة ،تتميز بها مجتمعة ، عن غيرها من الجماعات ، التي تؤلف امماً لها كذلك مميزات خاصة ، بحيث لا يبقى ما يوحد بين هذه « الجماعة » وبين « جماعة » اخرى ، الا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة ،اذا فعلنا ذلك ،اصبح تفسيرنا كلمة : « الامة » بـ « الجماعة من الناس » تفسيراً علمياً صحيحاً ، وهو ما نريده ،ونأخذ به ونعوّل عليه . ولما ان اجدادنا حتى في ايام دولنا العربية الزاهرة ، وايام وحدة الدولة وعظمتها ، لم يكن تحديد « الامة » بهذا الشكل واضحاً لديهم[1] . كما سبق وقلنا ، اضطرب معنى كلمة «الامة» في نفوسهم . فحينما ضعف السلطان العربي[1] واخذ عمال الدولة على الاقطار العربية وغيرها ،ينسلخون عن

(١) ولا لدى غيرهم .

(١) لعل اول عامل حسّي من عوامل ضعف السلطان العربي لم يُتنبّه له، هو ما قام به الخليفة محمد المعتصم اخو الامين والمأمون ، في غير سوء قصد كما نعتقد، من تأليفه فرقاً من الاتراك وغيرهم من الاجانب، ضمن ملاك الجيش العربي . وقد كان ذلك خلال سني خلافته اي من سنة ٨٣٣ الى سنة ٨٤٢ م . على ان عهد الانحلال في الامبراطورية العربية ، بدأ بعد الاضطرابات التي وقعت عقيب وفاة الخليفة ابي جعفر احمد ، الملقب بالمنتصر بالله ، وفي خلافة ابي العباس احمد، الملقب بالمستعين بالله ، وذلك حوالي سنة ٨٦٢ م . ففي ذلك الحين كانت (الاسرة الطاهرية) قد اسست في نيسابور، حاضرة خُراسان ،

قاعدة الملك ، كل امير بقطر فيصبحون جميعهم ملوكا !!! وتصبح اقطارهم ، كل قطر دولة ، انقطعت الصلة ، أو كادت بين اهل كل قطر ، ومجموع الامة ، واقتضى الحال ، أن يكون لكل دولة « امة » تبرر وجودها ، وتستمد منها سلطتها ، وترتكز في حكمها عليها . وصادف هذا التفكك ، هوى في نفوس الطامعين من الاعاجم ومصلحة ، فشجعوه وعملوا على الزيادة فيه . وماشى هذه الدويلات عن قصد وعن غفلة رجـــال سياسة ، وأرباب أقلام ، لنزعة أقليمية غلبت عليهم ، كما يحدث في عهود الانحطاط والضعف . واستمرت النكبـة من يوم تفسخ الملك العربي ، في عهد الاسرة العباسية المالكة ، إلى الاستعمار التتري ، بعد استيلاء هولاكو ، حفيد جانكيز خان ، على بغداد ، وقتله المعتصم ، آخر خلفاء الاسرة العباسية سنة ١٢٥٨ م . وقيام دولة السلاجقة وغيرهم ، الى الاستعمار التركي سنة ١٥١٦ وما يليها الى اليوم . وفشى الجهل بتاريخ الامـة العربية والبلاد العربية ، فصاروا

بلاطا فخما ، لايقل عن بلاط بغداد فخامة وروعـة . وكان رأس الاسرة عبد الله بن طاهر احد عمال المعتصم على خُراسان ، وقد توفي عبدالله هذا ، في خلافة المعتصم فخلفه ابنه طاهر ، وخلف هذا ابنه محمد . وزين السلطان لهـذه الاسرة ، ان تستقل فاستقلت ، منتهزة فرصة الفوضى التي غمرت الامبراطورية في عهد ابي العباس احمد المستعين بالله . وشجع استقلال هـذه الاسرة بقية الامراء على الاستقلال بولاياتهم عن عاصمة الملك ، فاستقلوا ، واصبحوا كأنهم اصحاب اقطاعات — مختلف التواريـخ العربية —

يقولون في كثير من الغفلة ، وغير قليل من القصد : الامة العراقية ،والامة اليمنية ،والامة الحجازية،والامة المصرية الخ... وهكذا ،أصبحت الامة الواحدة امماً متعددة !!! على ان الوجدان العربي القومي بدأ يستيقظ في نفوس أفراد من العرب ، في اواخر القرن التاسع عشر ،واوائل القرن العشرين[1] في كل قطر مهدداً بالقضاء على الاقليمية ،فحمل هذا ، الاقليميين النفعيين الذين ذُعروا لهذه اليقظة ، على التذرع لابقاء هذا التفسخ ، وتقوية الاقليمية ، بشتى الوسائل: منها ما كشفت عنه تنقيبات بعض علماء الاثار في التراب وتحت التراب ، من بقايا الفرعونية[2] في

---

(١) تألفت سنة ١٨٧٥ م. في بيروت جمعية عربية سرية، كان من اعضائها الدكتور فارس نمر والشيخ ابرهيم اليازجي . وكانت صرخة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي قد دوت من قبل في افاق العرب دوياً يهيب بهم الى استعادة تراثهم العظيم باعتبار انهم امة عظيمة مجيدة ، لهم كل عوامل الوحدة والتفوق . وفي سنة ١٩٠٤ اسس المرحوم السيد نجيب العازوري العربي اللبناني ، في باريس، حزباً سياسياً باسم « عصبة الوطن العربي ». والف في سنة ١٩٠٥ كتابا باسم « يقظة الامة العربية » ثم انشأ في سنة ١٩٠٧ مجلة باسم الاستقلال العربي بالفرنسية .

(٢) ما ننكر ان للفراعنة شأناً ،غير شأن الحثيين والكنعانيين والاشوريين والبابليين والكلدانيين وغيرهم من القبائل التي تعاقبت على (الشام) وغيره من الاقطار العربية ،من اقدم الازمنة حتى انقراض هذه القبائل او اندماجها. وانه قد كانت لهم مدنية مرموقة ، وحضارة من اقدم الحضارات ، وانهم برعوا براعة بيّنة في صناعات كثيرة ، في مقدمتها صناعة النحت وصناعة

جهة ، والفينيقية وغيرها في جهة أخرى، ومنها ما خلفته سياسة الاستعمار ،من افساد في اللسان وفي التقاليد وفي النفوس ،في كل جهة ، ولكن دون ان يجرأوا على القول (الامة الفرعونية . والامة الفينيقية .والامة البربرية و...الخ) . مكتفين بالاصرار على نسبة الناس . الى ارض قطرهم .فقالوا (الامة المصرية.والامة اللبنانية والامة المغربية أو التونسية والمراكشية والجزائرية وهكذا ... إيغالا في الاقليمية ، وإيثاراً للمنافـــع الفردية والمآرب الذاتية ، على منفعة المجموع ، ومصلحة الامة الحقيقية الكاملة[1] . ولولا ان يكون بين ذوي « الوعي القومي » من شبان العرب المثقفين في كل قطر ، من يدقق في هذه القضية ، ويسهر عليها ، لخشينا ان يجرنا التفسخ والجهل والغرض والغفلة الى القول بامة بغدادية وامة بصرية وامـة دمشقية وامة حلبية وامة بيروتية أو زحلية ،وامة دمياطية أو صعيدية وهكذا ...

التحنيط وصناعة البناء . وانهم قد خلفوا من الاثار ما شغل الدنيا وادهشها بين العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، ولكن هذا كله كان محصورا في القبور وحول القبور وفوق القبور . فلم يورثوا لغة ولا ادبا ولا شريعة ولا فلسفة . وليس لهم في مصر ، ولا في غير مصر، طابع فكري خاص، او معنوي او خُلقي أو روحي . وليس هناك تقاليد فرعونية ولا عادات ولا اداب ولا شرائع فرعونية . فالفراعنة من هـذه الناحية مثل البابليين والاشوريين والكلدانيين وغيرهم من مثلهم لم يبق لهم من وجود .

(١) لسنا ناسين ولا متجاهلين، ان هناك من يقول هذا بحسن نية وسيرا مع التيار من غير سوء قصد ولا رغبة في منتم .

والحقيقة والواقع ، ان هؤلاء جميعاً مثل غيرهم من العرب ، في مختلف الاقطار والبقاع ، اجزاء من « كل » هو « الامة العربية » لو عقلنا . الامة العربية المجيدة الخالدة التي لا تموت . بيد ان هؤلاء الذين يريد « البعض » الانتساب اليهم ، وهم لا وجود لهم ، ولا لاثر منهم ، إلا في التراب أو تحت التراب ، قد اثبت التاريخ والعلم ، انهم من العرب ، كالفينيقيين ، ولا نقول والفراعنة أيضاً ، لان الادلة التاريخية العلمية على عروبة هؤلاء ، لما تتوفر لدينا ، رغم ما يذهب اليه بعض المؤرخين ، ورجال العلم والرأي ، ومن هؤلاء الاستاذ مكرم عبيد باشا [1] من ان الفراعنة من العرب . اما القول ان اهل هذا الساحل العربي اللبناني من بقايا الشعوب المنقرضة او من سلالة الشعوب المنقرضة ، فساقط من نفسه اذ كيف يكون للمنقرضين بقايا ...

(١) قام الاستاذ الكبير السيد مكرم عبيد باشا ، برحلة الى الديار الشامية سنة ١٩٣١ م . فاستقبل في كل مكان حل فيه ، استقبالا حافلا جدا ، وفي حفلة المآدب التي اقيمت له ، مأدبة اقامها المثري الوجيه ، السيد عبد الله الريشاني ، في شتورة – لبنان – جمعت فريقاً كبيرا من رجال العرب في هذه الديار ، خطب فيها مؤلف هذا الكتاب ، وحمل في بعض عبارات من خطابه على الفكرة الشعوبية والاقليمية المتلبسة بالفرعونية في مصر ، وبالفينيقية في لبنان . فاجابه المحتفى به ، بخطاب طويل قيم ، فدّل فيه من شأن الفكرة الفرعونية والقائمين بها في مصر ، مُعلناً ان مصر عربية ، ثم قال ما معناه (انه الفراعنة انفسهم من العرب) .

الشعب عند العرب

•

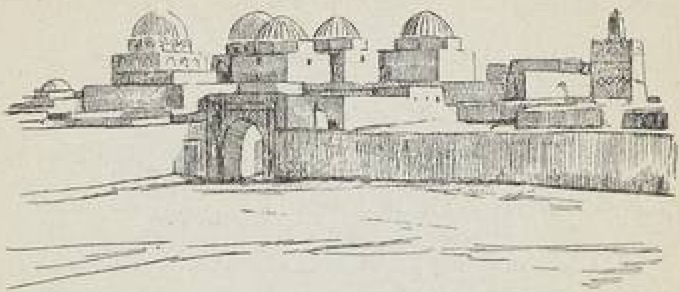
ويجدر بنا في هذا الصدد ، ان نذكر كيف كان اجـدادنا يفهمون كلمة « الشعب » ويحدّدونه ، مما يجهله وياللاسف الفريق الاكبر منا . قال صاحب «الكشّاف »: (الشعب عند العرب ملتقى الطبقات الست ، التي عليها العرب وهي : الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة) . فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الافخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل .) واعطى مثلا على ذلك فقال : (فخزيمة شعب ، و كنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصيّ بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .)

وإنه كما ترى لتقسيم بديع معقول .

وما دام في العرب غير « خزيمة » شعب ، ينقسم بدوره الى هذه الاقسام ،وما دامت كلمة « امة » لم يكن لها كما تقدم ذلك المدلول المحدّد الواضح ،الذي اصبح لها اليوم ، لكي يستعملها اجدادنا لما نريده تماماً ونستعملها له نحن اليوم ، وما دام القياس

يساعد ، مع قليل توسع ، على استعمالنا هذه اللفظة في الكلام على العرب مجتمعين ، لِما اصبحت تدل عليه في القرن العشرين ، قرن القوميات ، فنكون على حق وعلى صواب ، اذا نحن قلنا اليوم : (ان ملتقى الطبقات « السبع » التي عليها العرب ، او « الاجزاء السبعة » — ونفضل كلمة اجزاء — هو « الامة » . وان الامة تجمع الشعوب ، كما يجمع الشعب القبائل ، وكما تجمع القبائل العمائر الى آخره) . ولا قيمة لما قد يقوله قائل معترضاً : (ان القبائل التي يجمعها عند العرب ، الشعب ، كانت كلها من دم واحد عربي ، وان شعوب هذه الاقطار ، التي تقولون انها تؤلف مجتمعة ، امة واحدة ، لتكون (الامة العربية) ملتقى هذه الشعوب ، ليست من دم واحد عربي) .

لا قيمة لمثل هذا القول ، ما دمنا لا ندّعي ان دمنا لم يختلط أبداً ، وما دام قد ثبت علمياً ان وحدة الدم والسلالة المطلقة — وان تكن قوة معدودة في بعض الحالات — ، ليست شرطاً ، لان تكون جماعة من الناس ، بدونه ، امة واحدة تامة . وان للامة الواحدة التامة عناصر تخلقها ، وقد توفرت هذه العناصر لشعوب الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، وخلقت منهم امة واحدة تامة ، كما اثبتنا ذلك في صفحات سابقة .



مسجد القيروان

اهل القطر الواحد

•

س – ١٦ – لقد التبس الامر ، فلماذا لا يمكن اعتبار العراقيين ، مثلا ، (امة) عراقية تامة ، ما دام ان الجماعة من الناس التي لها لغة واحدة وتاريخ واحد وادب واحد وذكريات ومصالح واحدة ، و ... الخ ... هي الجماعة ، التي يُطلق عليها اسم (امة) ، وهذا كله متوفر للعراقيين، توفره لاهل القطر الواحد من الاقطار العربية الاخرى، كالمصريين والشاميين وغيرهم ؟!

ج – – كلا . ان الامر لم يلتبس ، ولن يلتبس أبداً ، وهو واضح جد الوضوح ، فلنتذكر تحديد الامة ، ولنفكر تفكيراً واسعاً صحيحاً، في اوضاع الامم ، يتبين لنا وجه الصواب والحقيقة . ولنأخذ من العرب اهل قطر واحد ، العراقيين ،

مثلا ، ثم نقيس عليهم غيرهم ، ان العراقيين لهم شركاء في لغتهم وتاريخهم وادبهم وتقاليدهم ومصالحهم . وفي شعورهم وذكرياتهم وآمالهم ومطامحهم. وهم لايتميزون عن هؤلاء الشركاء، بميزات خاصة فارقة، ولاهؤلاء الشركاء، يتميزون عنهم بميزات خاصة فارقة ، بحيث لا يبقى ما يوحد بينهم جميعاً ، إلا صلة الانسان بالانسان ، وما هو مشترك بين الناس كافة ، فيصبح كل فريق امة تامة . فهؤلا الشركاء، هم اخوانهم وابناء اعمامهم من العرب في بقية الاقطار . فهم امة بالاضافة الى هؤلاء . كما ان هؤلاء من مصريين ويمنيين وشاميين – ولبنانيين طبعاً – وغيرهم من مثلهم ، امة بالاضافة كل فريق الى الآخر ، بحيث يكمّل كل فريق ، الفريق الاخر ، فيؤلفون بمجموعهم امة واحدة تامة .

الفروق بين قطر وقطر

س – ١٧ – ان بين الشعوب العربية فروقاً ظاهرة ، تقل وتكثر بالنظر الى كل قطر، ووضعه، ألا تكفي هذه الفروق، للاحتجاج بها ، على ان كل شعب منفصل عن الشعب الآخر نسباً وقومية ؟

ج – – ان بين هذه الشعوب فروقاً ظاهرة فعلا ، ومع ذلك فهي تؤلف امة واحدة تامة ، ذلك لان هذه الفروق سطحية لا تأثير لها . وهي مسبّبة عن تفاوت في درجات الرقي علمياً واجتماعياً ، وليست مسببـــة عن اختلاف اصيل ، في الطبائع

والاخلاق، والعادات والتقاليد، والاحساسات العُنصرية ، التي يسِم بها كرّ الأجيال« الجماعة من الناس » بسِمَة امة ما ..ومن الجهل او سوء النية ، التمسك بهذه الفروق السطحية، الى حد اتخاذها دليلاً على ان كل شعب، من هذه الشعوب، يؤلف بنفسه امة تامة. فهناك العلم، الذي اخذ ينتشر على اختلاف درجاته في مختلف صفوف الامة ، في جميع أقطارها وهو كفيل بمحو هذه الفروق، في قليل من السنين، على قدر ما تسمح به سُنة الكون ونُظُم التطور، وقابلية النفس والعقل ، لا سيما اذا توحّدت اهداف الثقافة ، وأحسن توجيه الناشئة العربية بالطرق الحديثة نحو المُثُل العليا (١)

ثم ان هذه الفروق نفسها ، نراها بين مدينة ومدينة ، وبين قرية وقرية من قطر واحد ، بل من مقاطعة واحدة . واكثر من ذلك ، اننا نرى هذه الفروق بين عائلة وعائلة، في قرية واحدة. بل نراها بين افراد العائلة نفسها ،بمقدار ، بين الأب وبين أولاده واحفاده في الزمن الواحد . وستبقى فروق من هـــذا النوع

---

(١) اذا وحدت (الامم) العربية – وكان ينبغي ان يقال الشعوب العربية – ثقافتها واتخذت طرائق حديثة في البحث ، سبيلها الى هذا التوحيد استطاعت ان نقيم صرحاً عالياً، هو في رأيي الوسيلة لكل ما سواه من اسباب الوحدة التي لا سبيل لنا اليوم الى تصور اشكالها ، والتي ستجيء مع ذلك نتيجة محتومة لوحدة الثقافة .

الدكتور حسين هيكل باشا

ضئيلة لا قيمة لها ، في كل امة ، بحكم هذه السُنة وهذه النُظم وهذه القابلية ، كما هو معروف ، منذ ان عُرف تاريخ البشر حتى اليوم . ولن تؤثر هذه الفروق في وحدة امة من امم الدنيا .

الشعور والآمال

تبقى قضية الشعور والآمال ، وهي قضية خطيرة جداً بين عوامل تكوين الامة الواحدة التامة ، لا يجوز ان ننساها او نغفلها ابدا .

قد نشعر ، ونحن عرب في مختلف امصارنا ، مع الفرس مثلاً ، والترك والفرنسيس والانكليز والالمان ، وغيرهم من الغرباء عنا ، فيما لو اصابتهم كارثة ما ، او اعتدى عليهم معتد اعتداء وحشياً ، وقد نتوجّع لهم ، فيكون شعورنا في هذه الحال ، شعوراً انسانياً محضاً ، يقوى ويضعف ، بالنسبة الى قوة العلاقات وضعفها ، وتقارب المصالح وتباعدها . اما شعورنا بعضنا نحو البعض الآخر ، ونعني شعور كل قطر من اقطارنا ، نحو القطر الآخر ، فهو شعور قومي محض . وقد لا نبالغ اذا قلنا انه صار شعوراً غريزياً ، يفيض عفواً من دون حساب ، ومن دون التفات الى مقاييس العلاقات والمصالح ، رغم ما قد يكون لهذه ، من مفعول باطني في الامر ، ولكنه مفعول ، لا يخطر لنا في بال عفواً . ثم انه يتجاوز حد الشعور ، وينطلق عملاً من

الاعمال المحسوسة ، ضئيلاً كان أم كبيراً ، لاننا كالجسم الواحد بالرغم منا ،مهما تكن الفروق القائمة بين اعضائه ، فهو يُحس بالذي يصيب كل عضو ، من هذه الاعضاء ،و يدفع عنها كلها بنسبة مافيه من احساس وحيوية ومناعة . والامثلة على صحة هذا عندنا كثيرة نكتفي بذكر الاخيرة منها وهي :

اولا – ثورة العرب في طرابلس الغرب ،وفي مراكش ، وموقف كل قطر من الاقطار العربية ، التي ذكرناها ، منها .

ثانياً – ثورة العرب في الديار الشامية وموقف كل قطر عربي منها .

ثالثاً – ثورة العرب في « فلسطين » بنوع خاص ، وموقف كل قطر عربي منها[1] ، ولو كان « الوعي القومي » مكتملا في نفوس العرب ، لما وقفت هذه الثورات ،عند الحد الذي وقفت عنده . وقد كان الناس في برّ الشام ،ايام سعد العظيم ، يتعصّبون لسعد وللوفد ،بشكل قد يزيد عن تعصب المصريين الوفديين لهما ، وما كان ذلك إلا لاعتقادهم بان سعداً والوفد ،عرب ،انما يمثلون الفكرة العربية التحريرية الاستقلالية ، التي كانت تجمع بينهم وبين هؤلاء الناس في بر الشام ، كما تجمع بينهم وبين كل شعب

(١) حينما كتبنا هذا الكتاب لم تكن وقعت الحوادث التي عُرفت باسم ثورة في لبنان : حوادث تشرين الثاني ١٩٤٣ لذلك لم نذكرها في المتن . ونشير اليها الآن هنا على سبيل انها مثال جديد قريب من اللبنانيين ، الذين لن ينسوا موقف الاقطار العربية كلها منهم ومن حوادثهم المذكورة .

عربي ، في مختلف هذه الاقطار العربية . وما يزال الناس في بر الشام يتحمسون لحَمَلَة هـــذه الفكرة في مصر الغالية ، وفي كل مصر من امصار العرب ، الطامحة كلها الى التحرر والاستقلال .



النيل

الوعي القومي

●

س – ١٨ – ما معنى الوعي القومي ؟

ج – – معنى « الوعي القومي »، الشعور اليقظ القوي في نفس كل فرد[١] من افراد الامة بانه جزء من « كل » هو مجموع امته أو قومه ، وبان عليه واجباً نحو هذا « الكل » الذي هو جزء منه ، في مختلف ميادين الحياة، وشتى مقوّماتها ، وان هذا « القوم »، سواء اكان في الشرق أم في الغرب ، في الشمال أم في الجنوب، هو قوم واحد، لا تجعل منه الارض المُجزأة الى اقاليم متعددة اقواماً مختلفين . ونعني بالقوم، غير الاسرة، والعائلة ، والعشيرة والقبيلة ، وغير الشعب . نعني بالقوم مجموع الامة ، على اختلاف منازلها الجغرافية ، وتباين مراكز العلم والثروة والنفوذ والجاه فيها . ونفهم باكثرية هــذا القوم ، جماعات الفلاحين والعمال

(١) قد يتعذر ان يكون كل فرد على الاطلاق كذلك ، في ايـة امة من الامم ، ولكنه يكفي ان يتأصل في نفوس الكثرة كما نريد .

والصانعين. « الوعي القومي » هو شعور كل فرد ، بانه مظهر معنوي وادبي واجتماعي ومادي، من مظاهر قومه ، قومه الذي كونته اجيال متطاولة في التاريخ ، بكل ما فيها من وجوه الحياة ، وسُنن الكون، بكل ما فيها من عوامل القوة والضعف، والعز والذل ، والغنى والفقر ، والعلم والجهل ، والطموح والقناعة، والرضى والغضب، والكفاح والاستسلام ، والانتصار والانكسار . انه شعور كل فرد بان كل ما حصل عليه قومه في مطاوي الاجيال ، وما يحصلون عليه من عز ومجد ، وشرف وعظمة ، هو عزه ومجده ، وشرفه وعظمته . وكل ما نزل بهذا القوم وما قد ينزل بهم ، من ضعف وفقر ، وانحطاط وشر، وذل هو ضعف وفقر وانحطاط وشر وذل له ، وان مفارح هذا القوم ومباهجهم ومفاخرهم ، هي مفارحه ومباهجه ومفاخره هو نفسه، وان مآسي هذا القوم وآلامهم، هي مآسيه وآلامه هو نفسه ، في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل . وان في انتقاص الاجنبي حقاً من حقوق قومه ، انتقاصاً لحقه هو نفسه. وبكلمة واحدة، ينبغي لنا ويتحتم علينا ، ان نفهم وأن نؤمن، بان « الوعي القومي » ، هو ان يشعر كل فرد من افراد الامة : « القوم » في اعماق نفسه ، بما يشبه انه هو الامة وان الامة هو. فلا يرضى لفرد من افراد قومه ، ولا لجماعة منهم باستعباد، او بظلم، أو جهل أو فقر ، أو ذل . وانه يريد أن يسبق بقومه ، اقوام الدنيا كافة ، في ميادين المُثُل العليا، وان تغمر نفسه لذلك ، نشوة من

الطرب والفخر والكبرياء : (الكبرياء القومية) .

– هذا هو في نظرنا معنى الوعي القومي –

كيف يكتمل الوعي القومي

س – ١٩ – ما هي الوسائل ، لاكتمال « الوعي القومي » على هذا الوجه في نفوس العرب ؟

ج – – الوسائل كثيرة ، والاخذ بها يكون من طريقين ، طريق التطور العادي البطيء ، وطريق الوثب الاضطراري السريع ، ونحن الى هذا احوج . وفي رأس الوسائل التي يؤخذ بها من طريق الوثب ، الدعاية ، الدعاية ، الدعاية الصالحة المنظمة ،

مع القضاء على الامية بصورة اجمالية ، من طريقي التطور والوثب معاً ، على ان يكون ذلك طبقاً لمناهج ونظم معينة ، تستهدف لها – مهما تنوعت الخطط – احياء الثقافة القومية وتوحيدها ، في مختلف الاقطار العربية ، وبالنظر الى مكاننا من القافلة العالمية ، التي تسير بسرعة الى اهدافها من الذروة ، ينبغي لنا ان يعمل للقضاء على الامية عندنا ، ولتوفير بقية الوسائل التي سنذكرها لاكتمال « الوعي القومي » في نفوسنا ، فريقان : الحكومات من جهة ، والاحزاب والجمعيات من جهة اخرى ، فتنشيء الحكومات ، اكثر ماتستطيع من المدارس الابتدائية العملية المجانية ، في المدن والقرى ، وفي منازل القبائل . وتقوم

الاحزاب[1] والجمعيات، بتأليف لجان، تدور بصورة دائمة مستمرة، على مختلف المقاطعات، تخصص لكل قرية في كل مقاطعة برهة من الزمن، لتعليم الاميين، ثم تنتقل الى قرية اخرى، ثم تعود الى هذه القرية، وهكذا دواليك. وتدور على مختلف مطارح القبائل ايضاً، على ان يكون في هذه الحالة مع اللجان، نفر من شبان البدو أنفسهم، وهو أمر ليس بعسير. وأكثر ما يوافق ان يكون العمل، في حلقات ليلية، تُعقد لهذا الغرض، مراعاة لحالة الفلاحين والعمال، الذين تضطرهم امورهم المعاشية، الى العمل في النهار، والذين يؤلفون مع البدو الاكثرية الساحقة في الأمة، وهم أشد أفرادها حاجة الى مثل هذا التدبير. وتتخذ الحكومات والاحزاب الترتيبات اللازمة لمثل هذا الامر، مسترشدة بوضع كل قطر، ومختلف حالاته. ففي الاقطار التي تكثر فيها البداوة، ينبغي أن تُراعى في طرق القضاء على الامية، مسألة انتقال القبيلة من مكان الى مكان، انتجاعاً للماء والكلأ، الى ان يتيسر لحكومات هذه الاقطار، حمل القبائل على الاستقرار، وتحضيرها بواسطة التعليم من جهة، وتيسير امر الفلاحة والزراعة لها، وتحبيبها اليها، من جهة اخرى. وفي وسع الحكومات العربية اذا هي شاءت، ان

(١) لعل من العقل والمصلحة ان يسيطر الان في بلاد العرب في مثل حالهم اليوم، والى حين، حزب واحد، قومي اصلاحي انشائي يفنى في الامة كما يفنى الصوفي في الله.

تضع نُظماً خاصة تعجل في استئصال البداوة والامية ، وتجعل من البادين اليوم ، فلاحين وعمالا مستنيرين ، يحوّلون اراضي هذه الأقطار الواسعة المترامية الاطراف، الى حقول نضرة وبساتين مثمرة . ومن الضرورة في مكان عظيم جداً ، أن يكون التعليم عملياً بين البدو والفلاحين خاصة . فليس لدى الامة،متسع لاضاعة الوقت،بالسفسطات الكلامية ، والمطوّلات الصرفية والنحوية وما شاكل . ان القافلة تسير بسرعة فمن الواجب المحتم ،ان يتعلم اخواننا هؤلاء مع تعلمهم القراءة والكتابة ، كيف يجب ان يفلحوا وان يبذروا البذور ، وان يغرسوا الاشجار ، وان يربّوا المواشي ، وذلك بالنظر الى موقع ارض كل فريق وتربتها ومناخها ، وان يتعلموا كيف يجب ان يعيشوا . نعم ، كيف يجب ان يلبسوا ، وان يأكلوا وان يشربوا وان يناموا ، وكيف يجب ان يتقوا الامراض ، وان يعاشروا بعضهم بعضاً ، ذلك كله ، على أساس من قواعد الصحة ،واحترام النفس . وأن يتعرّفوا الى حقوقهم وواجباتهم ،على أوسع وجه ممكن ، باعتبار ان كل واحد منهم ، انسان حر ، ووطني امين نافع . ولا بد في مثل هذه الحال ،من النظر في المسألة الاقطاعية ، ومعالجة أسباب الفقر ، باوسع اشكال الحزم والانصاف ، وبكلمة واحدة واضحة ،يجب علينا ، أن نحارب الجهل والمرض ، والفقر والظلم ، والذل ، محاربة منظمة ، مستمرة ، لا هوادة فيها ، ولا تردد ولا استثناء .

كتابة تاريخ الامة العربية : — ولا نقول تعليم تاريخ الامة العربية، فان هذا التاريخ لم يُكتب بعد ، كما نريد، وكما ينبغي ، أي بطريقة علمية حديثة وقوميـة خالصة . ثم تعليمه الناس ،مكتوباً باسلوب واضح بسيط جداً ، يفهمه حتى الذين يكونون في حـالة تعلم القراءة والكتابة من الصغار ، ومن الكبار الاميين ، ويجب ان يوضع لمثل هؤلاء ، واولئك ، في حكايات سهلة، قصيرة ، جذّابة ،محبّبة الى نفوسهم .قلنا الصغار ونحن نعرف ما نقول، ونعنيه ونُصرّ عليـه ، فتعليمنا الصغار والكبار ، التاريخ العربي على هذا الشكل ، يجب ان يكون مقدماً ، على تعليمنا اياهم ، أيشي آخر في حالتنا الحاضرة. وهو على الشكل الذي نرتأيه ، سهل عليهم فهمه.مضمون في نفوسهم اثره ، مهما يكن من شأنهم .ومن المفيد جداً ،بل مما لا غنى عنه في نظرنا ، ان تكثر في التاريـخ ، رسوم الوقائع والحوادث التاريخية:العلمية منهاوالادبية، والعسكريةوالسياسية،والحربية والصناعية والزراعية، وغير ذلك ، فان في هذه جميعها — ومن دون أن نستعير أو نزوّر — ما يمحو هـذا الذل والازدراء بالنفس، المستولين على العربي ،ولا سيما على الفلاح والبدوي . وفيها ما يسمو بالنفوس العربيـة ،التي اضنكها الجهل والظلم والفقر ، عن مواطن الضعة والحقارة والوهن ، ويخلق فيهـا

إحساساً باطنياً عميقاً مُثيراً ، وشعوراً زاخراً ، عنيفاً مُهتاجاً بعظمة الاجداد ، وسمو نفوسهم ، وباذخ مجدهم ، وشديد صولتهم ، وعلو مكانتهم من الحضارة والعلم ، والسياسة والحرب ، وما يُشعر بتفوقهم في قيادة الجيوش ، وتدبير امور الرعية ، واستصلاح الناس ، وبمبلغ صبرهم على المكاره والشدائد ، وشظف العيش من جهة ، ومبلغ ايغالهم في الترف ، والتفنن في الاناقة والزينة ووجوه العيش المهذب الرفيع الناعم ، من جهة أخرى . وفيها ما يثير الحنين الى هؤلاء الاجداد والحماسة لهم ، والمفاخرة باننا منهم والرغبة في الاقتداء بهم ، مع مراعاة العصر الذي نعيش فيه ومراعاة مقتضياته . وان هذه الحقائق مجلوة بصورة علمية ، واضحة بسيطة ، وبوجه قومي محض ، يكون من شأنها فوق ما تقدم ، ان تصل ماضينا بحاضرنا ، الامر ، الذي لا غنى عنه ، لأمة تريد النهوض بعد الكبوة ، وان تنعش الامل ، في صدر المثقف والفلاح ، والعامل وغيرهم ، بمستقبل عظيم ، وتقوّي الرغبة عندهم في العمل لهذا المستقبل .

ولا يتوهمّن احد ، ان المقصود من هذا ، انما هو مجرد مفاخرة بالاجداد ، ومطاولة بالماضي القديم . لا . بل المقصود انما هو التدليل على ان الامة العربية ، التي ندعو الى الاتحاد باسمها ، والتعصب لها ، لها وحدها ، والى بعثها في صورة تتفق مع مقتضيات العلم والحضارة والقوة في القرن العشرين ، إنما هي امة عظيمة مجيدة شريفة ، محسنة الى الانسانية جمعاء ، وإنها من

الناحية العنصرية ،أمة متفوقة .فمن الخطـــأ - إن لم نقل من المروق - ان ينكرها او يتنكر لها من ابنائها انفسهم، اولئك الذين غرقوا في التمدن الغربي المعوج، في القرن العشرين ، الى آذانهم ، واعمت الدعــاية الملتوية بصائرهم ، فبـاتوا وهم لا يعرفون عن امتهم شيئاً، ويجهلون عنها كل شيء ،والمقصود ان نفتح مسامع العرب عامة،والفلاحين والعمال والبدو منهم خاصة، وهؤلاء المتمدنين المتعلمين الجاهلين منا، بنوع أخص- وجهل المتعلم اشد انواع الجهل خطراً وأبعدها نكاية - المقصود ان نفتح مسامع هؤلاء جميعاً ، لصوت هذا المـاضي العظيم الحي ، المنبعث من جوانب الحياة العربية كافـة : من كتب التاريخ والعلم ، والادب ،والاخلاق، والاجتماع ، ومن آيات الحضارة والهدى والعــدل ، التي ما تزال مضرب المثل ، ومن أسفار المعارك ، والفتوحات ، والغلبة والنصر ، ومن بقايا الجامعات والقصور ، وآثار السدود والحصون ،ومن معالم الفن، وقباب المعابد ، ومن دفقات الانهار، واصطخاب البحار، ومن القبور الدارسة ،والقبور الماثلة ، من سماء هذا الوطن العربي وارضه ، عسى ان يسمعوا فيشعروا فيستيقظوا ، فيطمحوا ، فيهبوا الى الجهاد ، ويعملوا فوق ما عمل الاجداد .

الوسيلة الثالثة

السينما : عرض هذا التاريخ بواسطة (سينما) على الجماهير

العربية ، في المدن والقرى، وفي منازل القبائل ، في روايات تجسم محاسن الامة ومآثرها ، ومفاخرها وامجادها ، وفروسيتها وبطولتها ، وانتصارات جيوشها . وتمثل حضارتها ومدنيتها ، وما افادت من العلم والعمل، في الصناعة والزراعة والفن . وتمثل أبّهة الأسر المالكة فيها وتواضعها ، وسموها ووداعتها، وكرمها وحلمها ، وعدلها وعطفها ، وشدتها ولينها . ولهذه المناسبة نذكر على سبيل المثال ، حادثة وقعت منذ بضع سنين ، في « شرق الاردن » : (ان للشيخ فؤاد الخطيب رواية اسمها « فتح الاندلس » قام بتمثيلها ذات مساء ، لفيف من شبان العرب، في عمان . وكان بين الذين شهدوا تمثيل الرواية ،فريق من البدو، في مقدمتهم، نفر من سادات قبائل « شرق الاردن » فأخذتهم الدهشة مما رأوا من مظاهر القوة في اجدادهم ، ومن الفروسية والبطولة ، ومن آيات المدنية والعظمة ، ومن وجوه الثروة والزخرف، وترف العيش . ثم استولت عليهم نشوة من الزهو والطرب والكبرياء ، فما شعر الحضور إلا وأيدي هؤلاء السادة على مقابض سيوفهم العربية ، يدقّون برؤوسها مغمدة ، أرض القاعة ويهتفون ، ويصيحون عالياً ، وما ان انتهى التمثيل وانفرط عقد المجتمعين ، حتى هرعوا إلى الشيخ فؤاد فحبسوه في حلقة ضيقة منهم ، واخذوا يسألونه بلهفة عما فعل الدهر بهذه الامة ، ثم يقولون ، اهكذا كنا ، أأولئك آباؤنا واجدادنا ؟!

وكانت في عمان قضية - نضرب صفحاً عن ذكرها هنا - يتنازع من اجلها فريقان ، احدهما الفريق الذي كانوا يسمونه « الوطنيين » وهم الذين يشتغلون للاستقلال والوحدة ، وبنيان مستقبل يفوق ذلك الماضي ، وكثرتهم يومـذاك - ان لم نقل كلهم - من رجال العرب غير الاردنيين ، وكان هؤلاء السادة من زعماء البدو، وهم من ذوي الشأن في شرق الاردن، حائرين: أفي جانب فريق الوطنيين يقفون ،أم في جانب الفريق الآخر ، وهذا الفريق الآخر من ذوي السلطة وأرباب الحكم ؟! فما أن تنفس صبح تلك الليلة، حتى سارع الذين ايقظت رواية « فتح الاندلس » في نفوسهم دم العزة والنخوة والقومية ، الى فريق الوطنيين ، واعلنوهم وقوفهم في جانبهم !!

لقد حدّد لهم « فتح الاندلس » في ليلة واحدة ، موقفهم . لقد رفعت صفحة واحـــدة ، من صفحات تاريخهم ، نفوسهم ، فانقذت شرفهم ، وسمعتهم ، ونفعت بهم قومهم .

الوسيلة الرابعة

الخطب والمحاضرات :- اختيار الحكومات والاحزاب فريقاً من المحاضرين والخطباء المقتدرين المؤمنين، يدورون على مختلف المدن والقرى ، والمخيمات، كاللجان التعليمية ، ويعنون بنوع خاص بالفلاحين والعمال والبدو، يلقون عليهم المحاضرات

والخطب، بلغة بسيطة سهلة مفهومة من الجميع محصورة مواضيعها فيما يلي :

اولا – تاريخ الامة العربية .

ثانياً – ربط ماضي الامة بحاضرها ومستقبلها .

ثالثاً – واجب الفرد نحو امته ، وحقه في الحياة .

رابعاً – الحياة الاجتماعية .

خامساً – الحياة الزراعية وقيمة الفلاح العارف واجبه .

سادساً – الحياة البيتية .

سابعاً – المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، وعلاقة كل منهما بالاخرى .

ثامناً – حق الرعية على الدولة ، وحق الدولة على الرعية .

تاسعاً – الغرور القومي ، والحقد القومي .

عاشراً – ما ينتظر العرب جميعاً ، من القوة والعز ، وراحة العيش ، إذا هم اتحدوا وتثقفوا ، وما إلى ذلك من مواضيع ، على ان تساق هـذه المحاضرات والخطب ، سياقاً يضمن في الدرجة الاولى رفع مستوى الفلاح [1] الاجتماعي والمادي والادبي، فيفهم ليس فقط كيف يستنبت ارضه، ويستغلها، باكثر ما يمكن وأحسنه من الطرق الحديثة ، بل يفهم أيضاً -- وهذا أمر كبير الأهمية جداً – انه يستطيع أن يعيش ، ويحق له ، ويجب عليه

(١) الفلاح والعامل والصانع والبدوي ، ونكتفي بذكر الفلاح باعتبار انه يمثلهم بصورة اجمالية جميعاً .

أن يعيش ، عيشاً نظيفاً مرتباً محترماً نافعاً . سياقاً يهذب في نفسه حاسة الذوق ، ويرقيها ، ويُشعره انه ليس كمية مهملة محتقرة ، ولا عوداً منبوذاً ، ملقى على الطريق ، بل هو غصن حي قوي ، في شجرة عالية ، عظيمة جبارة ، تختال باغصانها — وهو أحد هذه الأغصان — قوة وزهواً وازدهاراً . وانه ذو « شخصية » يشعر بها ، ويجب عليه أن يحترمها ، لكي يحترمها الغير . فشعور الانسان « بشخصيته » واحترامه هذه الشخصية ، أول شرط من شروط انطباع الفضائل في نفسه ، وفهمه المصلحة العامة ، وقيامه بواجبه نحو المجتمع القومي ، الذي يعيش فيه ، ثم نحو المجتمع البشري عامة . ويضمن في الدرجة الثانية خلق الثقة في نفوس أفراد الأمة ، بعضهم في البعض الآخر ، وخلق حس باطني عندهم بانهم ، مع كون كل واحد منهم « شخصية » متميزة عن « شخصية » أخيه ، فانما هم كاوراق الكتاب — إذا صح هذا التشبيه — منفصلة كل واحدة منها عن الاخرى ، متصلة بها ، اتصالا محكماً مستمراً . ومتى تم هذا ، مشينا الى الامام ، بخطوات سريعة واسعة ثابتة الى غايتنا البعيدة العليا .

الوسيلة الخامسة

الاندية : تنظيم الشباب العربي من ذكور واناث ، وانشاء اندية لهم ، في المدن وفي القرى ، ذات نظم معيّنة ، يضمن تطبيقها مع ما سبق من الوسائل ، خلق رأي عام موزون ، في العرب ،

ويحدد اتجاهات هـذا الرأي ، في مختلف المناسبات والحوادث الخطيرة ، من دون تردد ، ولا ترجرج ولا حـيرة . ويكون لكل ناد ، مكتبة وراديو وملعب ، على ان ترتبط هـذه الاندية في كل قطر ، بمرجع واحد ، وتجري عليها كلها مراقبة واحدة عامة . ويتفرع منها فروع للصغار ، يندمجون في عضويتها حينما يبلغ الواحد منهم السادسة من عمره ، تحت ادارة لجنة مختصة . ويحسُن ان تشرف على سير هذه الاندية ، الحكومات العربية متفقة ، إن أمكن ، وإلا فيشرف عليها بعض هذه الحكومات ، أو احداها ، أو هيئة ترضاها هذه الحكومات ، أو أكثريتها ، أو أقليّتها ، أو احداها .....

الوسيلة السادسة

العمل الجبري والحكومات : فرض العمل الجبري للمصلحة العامة ، ويكون ذلك باصدار الحكومات العربية قانوناً خاصاً بالعمل ، يفرض على كل من يبلغ السنة الثانية عشرة فما فوق ـ إلى سن محددة ـ ان يؤدي خدمة عملية لبلاده ، في خلال مدّة معيّنة . وينبغي ان يكون الذين يتمتعون بثروة او نفوذ اوجاه في مقدّمة الذين يطبق عليهم هذا القانون ، ليصدر العمل عن شعور بالمساواة التامة في الواجب القومي ، ورغبـة وسرور في الخدمة العامة ، وبحماسة واندفاع ، فيتألف من هؤلاء جميعاً ، جيش

لا يستهان به ، يُلقّن بصورة حماسية منظّمة ، تلقيناً دورياً مرتباً ، انه إنما يعمل ، لشرف بلاده ، الذي هو شرفه ، ومنفعة بلاده التي هي منفعته .

فيصبح كل فرد ، يزاحم أخاه بلذة ومباهاة ، في هذا العمل الانشائي القومي العام ، أما هذا العمل الجبري فيُصرف :

اولا – في تعليم الاميين وتثقيفهم ، اينما وجدوا ، وبنوع خاص في القرى والمزارع .

ثانياً – في انشاء الطرق العامة وتعبيدها ، وغرس الاشجار على جوانبها ، في المدن والقرى والمزارع .

ثالثاً – في بناء السدود والجسور ، واصلاح مجاري المياه .

رابعاً – في انشاء المباني والملاعب والحدائق العامة .

خامساً – في التحريش والعناية بالغابات .

سادساً – في مساعدة الفلاحين على ترتيب حقولهم وتنظيفها من الاشواك ، والنباتات الضارة بالزرع والأغراس ، ومساعدتهم في الزرع وفي الحصاد ، الى آخر ماهنالك ، من مثل هذه الأعمال العمرانية ، والزراعية ، ونستطيع القول والاجتماعية أيضاً ، لأن اجتماع مثل هذا الجيش من مختلف الطبقات ، وتنقله من مكان ، إلى مكان ، في مختلف مناطق البلاد ، حسب ما تدعو اليه الحاجة في كل منطقة ، مدرسة اجتماعية جزيلة النفع ، عظيمة

الاثر في النفوس[1] . وغنيّ عن البيان، ان هذا الذي ذكرناه بشأن اكتمال « الوعي القومي » يجب أن يسري على الفتيان والفتيات معاً، على اساس القابلية والاستطاعة. ولا نكتم اعتقادنا ان عشر نساء مثقفات، يكتمل في نفوسهن «الوعي القومي» ، يستطعن أن يصلحن في الأمة ، ويرفعن من نفوس أفرادها ، ويدفعنها الى السمو والطموح ، اكثر من مائة رجل يكتمل في نفوسهم هذا الوعي .

وان القوميين العرب المؤمنين ، من شبان وشابات قلوا أم كثروا ، في كل قطر من الاقطار العربية ، لمستعدون استعداداً تاماً للاخذ بهذه الوسائل ، والمساعدة على الأخذ بها – على قدر ما يتيسر لهم – في ايمان وعلم ، وحماسة ولذة وانشراح . وهناك وسيلة أخرى قد تبدو غير ذات شأن ، ولكنها في الواقع ذات شأن كبير ، والذين يعرفون شيئاً من علم الاجتماع وعلم النفس يشعرون شعوراً صادقاً ، بل يعتقدون اعتقاداً صحيحاً مثبتاً بالتجارب، باهمية هذه الوسيلة ، ومدى تاثيرها في النفوس ، وهي : (تغيير الاسماء الاعجمية واتخاذ اسماء عربية بدلا منها ، يُصار الى ذلك بواسطة قانون ، تضعه الحكومات لهذا الغرض .) ويشمل ذلك اسماء الاشخاص ،

(١) لقد لجأت حكومات في الغرب الى مثل هذه التدابير فأتت بنتائج باهرة .

والارضين والجبال،والسهول والاودية . والانهار والبحيرات، والمدن والقرى والمزارع ، والشوارع والمحلات ، وكلما يقع تحت الحس . هـذه هي الوسائل ، في نظرنا لاكتمال « الوعي القومي » ، بالمعنى المُتواضَع عليه اليوم ، في نفوس العرب ، وعلى الوجه الذي بيناه . وقد يكون هناك وسائل يكشف عنها الشروع في التنفيذ ، الواحدة بعد الاخرى ، فتأخذ بها الحكومات والاحزاب معاً .

س ـ ١٩ ـ ان هـذه الوسائل اذا عُمل بها تكون مضمونة النتيجة عظيمة الفائدة من غير شك، ولكن التوسل بها يقتضي كثيراً من المال فمن اين يؤتى بالمال ؟

ج – – . . . .

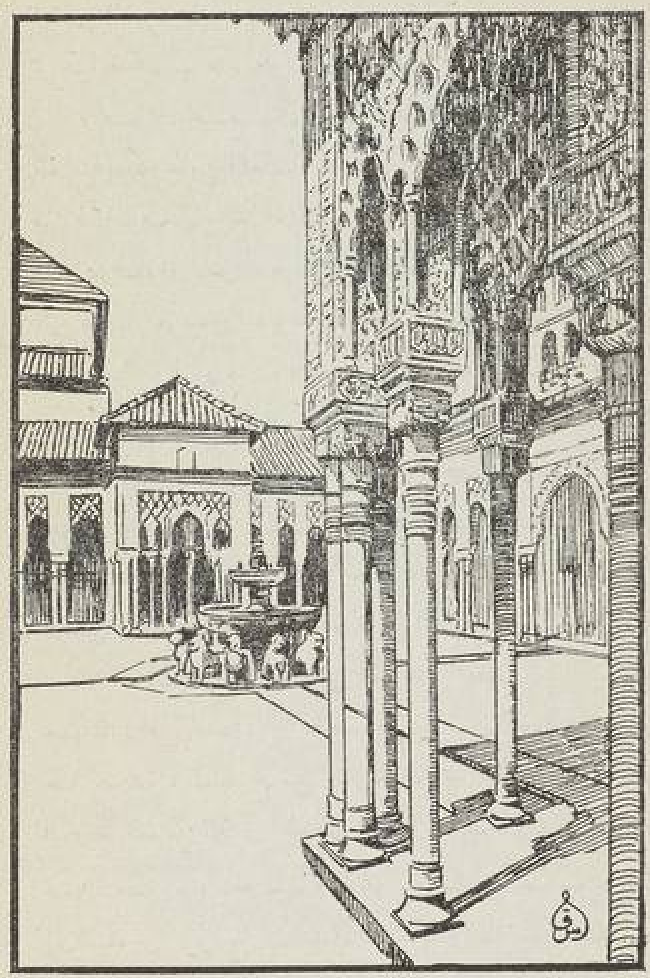


احدى نواعير حماه

تاريخ العرب والحكومات العربية

•

س ـ ٢٠ ـ من هو الذي يجب ان يتولى كتابة تاريخ الامة العربية؟
ج ـ ـ لا يمكن لفرد، ان يقوم بمثل هذا العمل الخطير كما نتصوره، وكما يجب ان يكون، ولا بد من تأليف لجنة من العرب الصُرحاء لهذا الغرض. وفي رأينا، أنه من الضروري جداً ان يشترك في هذه اللجنة أشخاص من مختلف الاقطار العربية، يكون بينهم بعض السيدات المثقفات. على أن تؤلف اللجنة ـ على وجه التقريب ـ كما يلي: ثلاثة من السياسيين القوميين يدركون أسرار السياسة، ومدى أغراضها البعيدة. وثلاثة من علماء النفس والتاريخ والاجتماع. وثلاثة من علماء الآثار. واثنين من علماء اللغة. وثلاثة من فحول الادباء الواسعي الاطلاع على ثقافات عديدة. وثلاثة من القواد والخبراء العسكريين. واثنين من مهندسي البناء. واثنين من المهندسين الزراعيين. وثلاثة من الفنانين المثقفين النابغين، في الرسم والنحت والموسيقى، او اكثر من ذلك أو أقل، ويكون لهم معاونون ومستشارون اذا



ساحة الاسود بقصر الحمراء في غرناطة الاندلس

اقتضى الامر، على قدر ما تقضي به الحاجة الى اتقــــان العمل، وإخراجه أقرب ما يكون الى الكمال .

ويجب ان يجتمع لدى اللجنة، أفضل وأصح ما كُتب باللغة العربية، وغيرها من اللغات الحية، من كتب تاريخ الامة العربية ؛ منذ ان عرف التاريخ العرب حتى يوم الناس هذا . وعلى اللجنة ان تطوف، او يطوف فريق منها بالاقطار العربية كافة، وبالبلدان التي فتحها العرب، واستوطنوها مئات السنين ، ولم تبق عربية ، كأسبانيا، والبورتغال، وفرنسا، وايطاليا، وسويسرا. ثم كبلاد فارس « إيران » وافغان ، وتركيا، والهند، وسائر البلدان التي بسط العرب سلطانهم عليها ، ونشروا الحضارة والعدل والهدى فيها ، كثيراً أو قليـــلا من الزمن . وذلك للبحث والتنقيب والاستطلاع ، واستنطاق الآثار ، فأن للمشاهدة روعـــة في النفس وأثراً ، لا يتفقان للمطالعة أو السماع أو التصوّر .

وبعد أن تفرغ اللجنة من عملها هذا العظيم ، تتألف لجنـة جديدة ، اقلّ عدداً، أو يُقتصر على نفر من اللجنة نفسها يعتبر لجنة جديدة ، تستخرج من التاريخ العربي القومي العـــام : التاريخ القومي العربي القصصي المصور ، تضعـــه في حكايات صغيرة مصورة ، بلغة سهلة واضحة ، واسلوب جذّاب ، مُحبّب إلى النفوس ، يوضع بين أيدي التلامذة والطلاب ، حلقـــات متسلسلة ، ويُعتمد عليه في تعليم الأميين أيضاً .

س ـ ٢١ ـ إن هذا العمل وحده عمل ضخم جداً يقتضي كثيراً من

النفقات ، فمن أين يؤتى بالمال للانفاق عليه ، ومن يتولى عملية الانفاق ؟!

ج - لقد عدنا إلى قضية المال .... وإنها في الواقع لقضية عسيرة ، بالنظر الى تمنع الكثيرين وخصوصاً الأغنياء - إلا أقلّهم - عن البذل في سبيل المصالح العامة ، على أننا سنجيب هنا عن هذا السؤال من دون تردد وفي صراحة ، إن هذا العمل الضخم الجليل ، من أقوى الأركان التي قررنا ان « الوعي القومي » يكتمل بواسطتها ، ولا يقدر العرب ، ان يربحوا قضيتهم كاملة ، ما لم يكتمل هذا الوعي في نفوسهم ، وفي ذلك مصلحة للوطن العربي كله ، لكل قطر من أقطاره على السواء . فالجواب الذي يتبادر الى الذهن ، أنه من المفروض إذن ، ان يؤتى بالمال من الحكومات العربية كافة ، كل حكومة بالنسبة إلى ميزانيتها ، وأن تتولى عملية الانفاق على العمل لجنة مؤلفة من وزراء المالية والداخلية والخارجية في هذه الحكومات . ولقد كان هذا الجواب يكون معقولا ومضبوطاً ، لو كانت هذه الحكومات متساوية في فهم قضية العرب ، ومصلحة الوطن العربي والرغبة فيها والعمل لها .

اما ونحن نعلم ان الحال ليست كذلك ، ويا للاسف ، فيجب أن نجابه المسألة بصراحة وحزم ، ومنطق صحيح ، ليكون جوابنا جوابا يرضاه العقل ، ويقتنع به ، ويقره « الوجدان القومي » ويرفعُ الصوت من اجله ، فلا يرى لاصحاب الشأن

في الامر، عذراً في الانصراف عن تطبيق ما فيه . وعلى هذا نقول : ان بين الحكومات العربية القائمة حكومتين اثنتين - مع احترامنا لهذه الحكومات كافة - من المفروض ان يخولها واقع الحال، حق الادعاء انهما تفهمان القضية العربية، ومصلحة الوطن العربي، وترغبان في هذه المصلحة وتعملان لها ، أو تستطيعان العمل لها، اكثر من غيرهما[1] لاسباب ، منها: الوضع السياسي والوضع العسكري، والوضع المالي والوضع الثقافي ، وكل واحدة من هاتين الحكومتين تدعي في الوقت نفسه أو تُضمر - على الاقل - الدعوى ، بانها زعيمة الوطن العربي . وهاتان الحكومتان هما: (حكومة العراق وحكومة مصر). وهناك حكومة ثالثة يدّعي لها - بعضهم - انها هي زعيمة هذا الوطن . ولكننا في بحثنا هذا نقرر حقائق واقعية ونحكّم العقل والعلم ومصلحة العرب ، وليس هوى النفس، ومجرد

---

(١) قد تكون الحكومات العربية كلها تفهم القضية العربية ومصلحة الوطن العربي ، ولكنّا اشترطنا مع الفهم ، الرغبة في العمل والقدرة عليه ،

ولعل هناك قطرا بعينه اختمرت هذه القضية في نفسه اكثر من اختمارها في نفس اي قطر آخر ، وهو يرغب في « ربحها » اكثر من أي قطر آخر ولكن ظروفه دون ظروف غيره ملائمة ومواتاة . ولمَ لا نقول انه . . . .

حاشية : كتبنا هذا الكتاب يوم لم يكن هناك « جامعة دول عربية » ولم نحب ان نغير فيه شيئاً ليبقى صورة صحيحة ناطقة لما كان يخالج عقلنا وفكرنا ونفسنا يوم كتبناه .

العاطفة . لذلك نقصر الكلام في هذا الصدد الآن ، على هاتين الحكومتين ، حكومة العراق ، وحكومـــة مصر ، حتى اذا تحقق الامل فيهما أو في إحداهما ،وبدأتاأوبدأت احداهما السعي الجدي، لتحقيق هذا العمل القومي العظيم ،فلايطول الامر ، حتى تساهم بقية الحكومات في العمل ، وإلا اساءت الى نفسها ، وكان للعرب معها شأن ...

قلنا ان الحكومتين العربيتين الوحيدتين اللتين يخولهما الواقع اليوم ، حق الادعاء ، أنهما تعملان لمصلحة الوطن العربي ، أو تستطيعان العمل لهذه المصلحة، هما الحكومة العراقية والحكومة المصرية ، وان كلا من هاتين الحكومتين ، تدّعي أو تُضمر الدعوى،أنها زعيمة هذا الوطن كله ،ونحن لا يُطربنا ولا يُرضي مطامحنا القومية ، مثل أن تصح هذه الدعوى وتثبت ، ويُصر صاحبها عليها حتى النهاية، لِما ينشأ عن ذلك ،من حقوق وواجبات، تترتب لهذا الوطن على صاحب هذه الدعوى ، ولصاحب هذه الدعوى على هذا الوطن . وعلى هذا ، فان هاتين الحكومتين العراقية والمصرية ، هما الحكومتان اللتان يجب أن تشرعا في استعمال الوسائل التي تكلمنا عليها ، وتأليف اللجنة التي قلنا بضرورة تأليفها ، وبأسرع ما يمكن ، لكتابة التاريخ العربي القومي ، وأن تنفقا عليها ، وتشرفا على اعمالها،وتقدّما لها كل ما تحتاجه، لأتمام هذا العمل الضخم الجليل المثمر ،من مساعدات مادية وأدبية على اختلاف أنواعها . واذا فعلتا ، ونرجو ان

تفعلا ، فان بقية الحكومات لا غنى لها عندئذ ، عن المساهمة في العمل على قدر استطاعتها .

فائدة كل قطر

وغنيّ عن البيان ، ما يستفيده كل قطر من الاقطار العربية كافة ، من هذا العمل ، من دون أن يتعرّض ، أيّ قطر ، لأيّ ضرر ، من أية ناحية . لا سيما ، وسيكون من دستور عمل اللجنة ، إبراز فضائل كل قطر ، وامجاده العلمية والفنية والسياسية والحربية ، ومبلغ ما بذله من جهود في تكوين الفضائل العربية العامة ، والامجاد العربية العامة ، وفي تكوين الملك العربي القديم الباذخ الضخم ، المحسن الى الحضارة العالمية ، والى العنصر البشري كافة . وسيكون من دستور اللجنة أيضاً - طبعاً - الكياسة في الكلام على هذه الاقطار كلها ، قبل الفتح العربي الاخير الكبير ، وفي اثنائه وبعده ، حرصاً على العواطف وتمكيناً لاواصر القربى القومية ، على ان يكون ذلك في اتساق وانسجام ، يضمنان المحافظة الدقيقة ، على سلامة الضوابط القومية العامة .

س - ٢٢ - أيمكن أن تستقل الحكومتان المصرية والعراقية بهذا العمل ؟

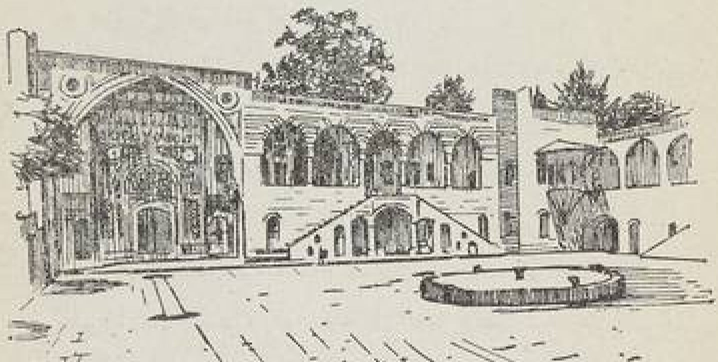
ج - - لو كانت الحكومات العربية تشترك كلها ، دفعة واحدة ، في هذا الامر وتتعاون عليه ، لكان ذلك افضل

واجدى، اما وهذا ليس ممكناً الآن ـ وليتنا نكون مخطئين ـ فلم يبق ، إلا ان تستقل الحكومتان العراقية والمصرية بالعمل في بادئ الامر . نعم ، لم يبق إلا أن تعمل هاتان الحكومتان ، منفردتين متفقتين، بهـذه الوسائل التي ذكرناها ، بالنظر الى أسباب اوردنا بعضها . ومن البديهي القول ، انـه يجب ان يتعاون معها الاحزاب والافراد ـ ولا سيما الاغنياء ـ في البذل بواسطة التبرعات والاشتراكات الشهرية أو السنوية . فاذا لم يندفع الافراد والاحزاب ، ولاسيما الاغنياء، الى القيام بواجبهم حقّ للحكومـة، بل وجب عليها ، أن تدفعهم هي دفعاً . واذا كان لبقية الحكومات العربية، شيء من العذر اليوم ، في الاحجام عن مثل هذا العمل ، فان الحكومتين المصرية والعراقية ينقطع لديهما، كل عذر إذا هما احجمتا عنه.

على ان هذا، لا يعني، أن هاتين الحكومتين، ليس من الواجب عليها مكاشفة بقية الحكومات بهذا الامر ، وبغيره من الامور التي تفضي إلى استكمال « الوعي القومي » وإنشاء الكيـان العربي الموحد، أو الاتحاد العربي ، بل يعني ، انهما، سواء ارضيت هذه الحكومات الشقيقات، بمشاركتهما الآن في العمل ، أم لم ترض ، يجب عليهما، ان تشرعا في العمل وتمضيا فيه حتى النهاية. وما نشك ، في انهما ملاقيتان في الشعوب العربية كافة ـ الامة العربية ـ التأييد والمعونة، بتحمس واندفاع وعرفان للجميل ، عدا الحب والطاعة والاجـلال . فاذا هما لم تتفقا على ذلك

ـ لا سمح الله ـ يصبح من الواجب المحتم ، على حكومة بعينها ، من هاتين الحكومتين ، أن تشرع في العمل وتقضي فيه تدريجياً ، بالاتفاق مع رجالات العرب المؤمنين المخلصين ، ايـــنما كانوا ، وبالطرق التي يُتفق على انها اكثر ملاءمـــة وجدوى ، وهذه الحكومة هي الاكثر دعوى لزعامة الوطن العربي ، والاكثر احتكاكا في هذا العهد بالشعوب العربية ، والاكثر تمثيلاً للحضارة العربية والامجاد العربية[1] .

(١) اية حكومة هي هذه الحكومة ؟ هل من يعرفها ، هل تعرف نفسها؟



قصر بيت الدين – لبنان

نظريات

•

إننا نعلم أن بين الذين سيطّلعون على كتابنا هذا ، اناساً سيقولون (إنها نظريات جميلة، ولكنّها على كل حال نظريات ..) يريدون بذلك، ان هذا الذي نفكر فيه، وندعو إلى العمل به ، لا كتمال « الوعي القومي » ، في نفوس العرب ، وبالتالي ليصير في استطاعتهم، انشاء كيان لهم قومي قوي اسوة ببقيـة الامم الحية المحترمة ، ذات الوزن في حياة العالم ، إنما هو مجرد خيال لا يمكن تحقيقة عملياً ، فالعرب دون أن يحققوا مثل هذا الامر الخطير ، وهؤلآء الناس فريقان — فريق متخدّر الشعور ساقط الهمة سادر مستهتر ، الحياة عنده محصورة ضمن نطاق من المادة، وقل البهيمية إن شئت ، يكاد لا يتعـــدّى الأكل والشرب واللبس والنوم وشيئاً آخر .... ولا يتصل بمعنى من معـاني السمو ، والمثل العليا ، وهذا لا شأن لنا معه ، وفريق مثقف ، راجح العقل، سامي الهدف ، شديد العناية بقضية العرب، مخلص

لها ، ولكنه متشائم ، متشائم لكثرة ما منيت به هذه القضية ، من النكبات والخسران ، ولقلة ما يراه في أهلها والعاملين لها من ذوي العزم والتضحية والثبات ، فالى هـــذا الفريق الكريم ، سواء أكان على خطأ أم على صواب ، نسوق كلمـــة في « النظريات » .

ان كل عمل ، تحقق في هذه الحياة ، منذ ان عرف العلم تاريخ البشر ، فيما نعلم ، حتى الان ، كان (نظرياً) قبل ان يصبـــح عملياً ملموساً . وكل أمر ، ما دام على الألسنة وعلى الورق ، فهو « نظري » الى ان يُتاح له أولو عزم ، وتتهيأ له الأحوال ، فما هي إلا برهة من الزمن ، حتى يصبح عملياً ملموساً ، يسيراً خطبه ، هيناً شأنه . وعندنا ان النظري المطلق ، إنما هو الشيء الذي لا يمكن تطبيقه في حال . فمن ذا الذي يتحمل من العرب ، تبعة الجهر باستحالة تطبيق « نظرياتنا هذه » ؟!

قد يكونون على صواب ، إذا هم لم يتعدوا القول ، بان ما نفكر فيه ، وندعو الى العمل به ، أمرٌ صعب جداً ، فنقول لهم عندئذ ، ما قاله شاعر الفلاسفة ، وفيلسوف الشعراء منذ اكثر من الف سنة .

واني رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

ولهذه المناسبة ، نحب ان نسأل الذين لا يرون رأينا من أهل العلم والعقل ، والكرامة والاخلاص ، عما كان يمكن أن

يقولوه في هذه الاختراعات التي نراها ونلمسها اليوم ، فيما لو تكلم عليها احد من الناس منذ ٥٠ سنـــة أو أكثر أو أقل ، كالطيّارة مثلاً والغوّاصة والراديو وما الى ذلك [١] . وان نذكر لهم على سبيل المثال ، أن الغوّاصة هذه التي أصبحت عاملاً قويا ، من عوامل تثبيت دولة وتهديم دولة ، والتي يتحدّث عنها الناس اليوم، اكثر من تحدّثهم عن شؤونهم الخاصة ، كانت شيئـــاً « نظرياً » في رأس كاتب قصصي فرنسي مشهور . فما أتذكر أني عثرت في بعض مطالعاتي ، بأنه في سنة ١٨٦٥ الّف الكاتب القصصي الفرنسي (جوبل فرن) قصة عنوانها فيما أذكر ، (عشرون الف فرسخ تحت البحر) تخيّل فيها مركباً يسير تحت المياه ، يرى ولا يُرى ، ولم تمض برهة من الزمن ، حتى تحقق خيال هذا الرجل ، وأصبح الشيء « النظري » عمليـــاً ملموساً : غواصة تحمل الموت والحياة .

وبعد هذا وذاك ، فاننا نكتب الى أمة تدّعي انها تنشد الحياة بل « تنشيء الحياة [٢] » واكثر ما تظهر دعواها هذه على ألسنة المثقفين، وأقلامهم، من رجال المنابر والاقلام والسياسة، ومن رجال الحل والربط والسلطان... من ابنائها انفسهم ، امة شديدة الحيوية، كما نعتقد، فيها سر من اسرار العبقرية، دلت عليه فيما عبر

(١) لم تكن الطاقة الذرية قد عرف امرها يوم الفنا هذا الكتاب .

(٢) امة تنشيء الحياة وتبني كبناء الابوّة الامجاد
« شوقي »

من الزمان ، بما اتته من عظيم الأعمال ، وحققته من واسع الفتوحات ، في يسير من الزمن ، وبما نشرته من علم وحضارة، ومدنية، وهدى، وحرية ورخاء. وتدلل عليه اليوم في محنتها ، باحتفاظها بلغتها واداىها وتقاليدها و كثير من خاصياتها ، وبما يكمن فيها من حيوية ومناعة ، حالتا دون تلاشيها ، رغم ما نزل بها من كوارث ونكبات . ورغم هذه المئات من السنين التي مرت عليها، وهي تتناوشها أيدي الفاتحين والمستعمرين من جهة ، وايدي المفسدين المجرمين المارقين، من ابنائها انفسهم من جهة أخرى ، توغل في النكاية بها وفي تمزيق اوصالها ، وإفساد أخلاقها ، وتحكيم الفقر والجهل والتفسخ في مواطنها ، وقطع الصلة قطعاً تاماً ـ لو تستطيع ـ بينها وبين ماضيها مما لو وقع مثله لغيرها من الامم ، لاندثرت ولم يبق لها من اثر .

اننا نكتب الى أمة بدأت تشعر بوجودها، بعد طويل غفلة . وتدرك عظم الخسارة التي مُنيت بها، ومُني بها العالم كله ، منذ أن خبت انوار العلم، والحضارة، والمجد في ربوعها ، وهوى عرش دولتها وسلطانها ، ثم أخذت تتحفز للوثوب من جديد وثبة ، نرجو ان تدلل بها، على انها ما تزال خليقة بتراثها المجيد، وانها قادرة على تحقيق هذه « النظريات » فلا تنفك عن معالجة قضيتها ، حتى تستقيم هذه القضية كما ينبغي وكما تريد ، أو تبيد .ولن تبيد .

تحديد قضية العرب

●

س ـ ٢٣ ـ ما هي قضيــــة العرب . وكيف نحددها ؟

ج ـ ـ لقد كتب في « قضية العرب » فريق غــــير قليل من الناس، بلغات مختلفة، وهي وان تكن واضحة ، ما تحتاج الى كبير عنــاء ، ليفهمها من يريد ان يفهم القضايا الحق ، فاننا ما نزال نسمع حتى الآن، ناساً، الغريب ان بعضهم من العرب انفسهم يسألون : اما هي قضية العرب ؟ وماندري ، أعن جهل منهم بهذه القضية، أم عن تجاهل ومروق واستخفاف يسألون ؟! ومهما يكن من أمر ، فاننا سنجيب عن هذا السؤال ، ونحـدّد هذه القضية تحديداً واضحاً من وجوهها المختلفة ، لن يبقى معه « قاضٍ » منصف، في الدنيا كلها ، إلا « ويحكم » بانهـا قضية حق ولن يبقى عربي في الدنيا كلها ، إلا ويعمل ليوبـخ قومه هذه القضية ، إلا أن يكون متّهما في نسبه ، أو في عقلـه وفهمه ، أو في كرامة نفسه .

إن قضية العرب هي قضية تراث مجيد ضخم[1]، كانت تستفيد منه امم الدنيا كلها، وليس العرب وحدهم، وسلب الاعاجم العرب هذا التراث بمساعدة فئة من العرب، سمّها خائنة ان شئت، أو ضعيفة أو جاهلة أو ما تشاء. ويريد العرب، استرداد هذا التراث. سلب الاعاجم الامة العربية ما سلبوها، في غفلة من الزمن، أو من الامة نفسها، وانقضى على هذا عهد طويل جداً، وأصحاب الحق في هذا التراث، لا يسألون عنه، لأن الذين سلبوهم إياه، كانوا يخدّرون اصحابه بانواع المخدرات جميعها، ويحاطون من بعيد ومن قريب، لاستمرار مفعول هذه المخدرات بمختلف الوسائل والأساليب، لكي لا يستيقظ أصحاب هذا الارث يوماً، ويشعروا بعظم خسارتهم، فيندفعوا الى العمل لاستعادة تراثهم هذا، من أيدي الغاصبين. ولكن العرب، أحفاد اولئك الذين خلّفوا هذا التراث، قد استفاقوا بعد مئات السنين، لسوء حظ الغاصبين وشركائهم، وبدأوا يشعرون بما يجب ان يكون لهم من وزن في هذه الحياة الدنيا، وبحقهم في تراثهم القديم المضاع، وواجبهم في العمل لاسترداده، واحيائه، واغنائه.

أما هذا التراث المجيد الضخم، فهو تراث من العلم

(١) يلاحظ القارىء اننا لا نؤرخ للقضية، وانما نشرحها لنقرّبها الى افهام الذين لم يتيسر لهم ان يفهموها حتى الان، ولا ان يعرفوا كيف نفهمها، لعلهم بعد هذا يفهمونها فيطمئنون فيؤمنون. واذا ما عرضنا للتاريخ في سياق الكلام، فانما لهذا الغرض نعرض له.

والحضارة والمدنية . ومن الاخلاق . ومن الثراء . ومن الوحدة في الثقافة ، وفي الارض،وفي الاهداف . ومن القوة والمجد . المجد بشتّى وجوهه وصوره، المجد العلمي والمجد الأدبي، والمجد الحربي والمجد السياسي.هو مجموعة من الفضائل القومية والعظائم. ومن عناصر التفوّق والسمو ، روحياً ومادياً . والعرب – وقد استيقظوا وتنبّهوا – يريدون استرداد هذا كله ، واحياءه ، وانماءه ، والتمتع به ، ونفع الناس بما فيه من حسنات ومن خيرات .

« هذه هي قضية العرب »

وحينما نعمل لاستعادة هذا التراث ، من بين شدقي الدهر ، وتعهده ، والسهر عليه،لينمو ويبقى، خدمة لقومنا، وأقوام الدنيا كافة ، نقول (إننا نعمل لقضية العرب) وهذا صحيح ، كما انه حق وعدل . ولذلك نعمل لكي يتحد العرب ويتحرروا ويستقلوا ، إذ انهم ، لا يمكن أن يستعيدوا تراثهم ، اذا هم لم يتحدوا، ولم يتحرروا، ولم يستقلوا .

وبكلمة موجزة جامعة واضحة نقول: (ان قضية العرب هي قضية انشاء دولة عربية واحدة ، او حكومات عربية متحدة ، يخضع لسلطانها الاعلى، المستمد منها كلها، بواسطة مجلس يمثلها ، العرب في مختلف اقطارهم ، ليتمكن العرب من ان يستردوا حقهم المغصوب المضاع، اي تراثهم الذي ذكرناه ، وان يحيوه

ويزيدوا فيه ، وينتفعوا ، وينفعوا الانسانية به . وبهذا فقط، تكون الامة العربية، قد ظفرت بحقها، وربحت قضيتها ، ويعود العرب سيرتهم الاولى، مع مراعاة مقتضيات العصر، وكل عصر . هذه هي :

« قضية العرب »

وما ان يربح العرب قضيتهم القومية ، حتى تبدأ في نظرهم « القضية الانسانية » التي يريدون ان يساهموا في خدمتها ، في قوة وصدق واخلاص — على غير ما يفعله كثير من الامم القوية المدعية خدمة الانسانية — وذلك ضمن نطاق الممكن ، المعقول، وعلى اساس صالح من النُظُم العادلة.

ويكون العرب ، غير جديرين بحمل اسم اسلافهم العظام ، حتى وغير جديرين بالحياة ، اذا هم لم يبذلوا الجهود والاموال والارواح، لكي يربحوا قضيتهم هذه، فيشغلوا المكانة التي تليق بهم في هذه الحياة، والتي تتفق مع جلال ماضيهم ، واتساع وطنهم وغنى ارضهم ، ومركز بلادهم وكثرة عددهم [1] ، وما يفرضه الطموح البشري، في الاحياء فعلا ، من رغبة في العلو، والتفوق

(١) يجعل بعض الاحصائيين عدد نفوس الامة العربية، خمسين مليوناً ، ويرفع بعضهم العدد الى سبعين مليوناً . وليس لدينا احصاء رسمي دقيق، لنفوس كل قطر من الاقطار العربية ، على ان الاقرب الى الحقيقة فيما نرجح هو ما يقوله بعضهم، من ان العدد يتراوح بين الستين والسبعين مليوناً من النفوس .

ضمن دائرة، تتسع لحريات كل قوم وحقوقه وامجاده.

وانها لقضية حق ، كما ترى ، وانها من حيث الاساس والجوهر ، لقضية بسيطة غير معقدة ، وواضحة لا لبس فيها ولا ابهام ، لا سيما، والعرب يحددون هذه القضية على اساس الحق القومي وحده ، تحديداً صحيحاً عادلا ، لا يتجاوز الارض العربية ولا الشعوب العربية . فهم لا يطمعون بالتوسع، ولا يطمحون الى حكم غير العرب ، ففي ارضهم متسع لهم وغنى ، وفي عددهم وفرة لهم وقوى . ولكنهم لن يرضوا بعد اليوم ، بان يكون شبر واحد، من الارض العربية، داخلا في « ممتلكات» دولة اجنبية . ولا ان يكون لاجنبي واحد سلطان في بلاد عربية .

هذا هو المبدأ ، أو المذهب اذا شئت « Doctrine » الذي يعمل أحرار العرب القوميون ، على أساسه . قلوا أم كثروا ، ويرون لأقوام الدنيا كافة، من الحق في العمل على هذا الأساس، ما يرونه لانفسهم ، مع تبادل المنافع واحترام المصالح المشتركة فيما بينهم ، معتقدين باخلاص، انه من أفضل الوسائل، لوضع حد للاطماع الجارفة ، والشهوات الجامحة ، أو للتخفيف على الاقل ، من ويلات هذه الاطماع، والشهوات ونكباتها ، على العالم كافة .

تحديد الكيان العربي

س – ٢٤ – ما هو شكل الكيان العربي القومي الموحد المستقل الذي يكثر احرار العرب القوميون من ذكره والدعوة اليه؟

ج – – يظهر من خلال هذا السؤال، اثر الشكوك والمخاوف التي ينشرها «بعضهم» في الناس لمحاربة «قضية العرب» حين يقولون: ان هؤلاء الدعاة، ناس خياليون، متطرفون متعصبون، فكيف يمكن ان تتحد الاقطار العربية وتستقل وهي:

اولا – مجزأة الى ممالك ودول متعددة، فكيف يرضى الملك الفلاني، أو الامير الفلاني، أو الرئيس الفلاني، بهذه الوحدة التي تستدعي انهيار عرش وزوال سلطان.

ثانياً – انها مفصول كل جزء منها عن الآخر، بمسافات شاسعة وفلوات قاحلة.

ثالثاً – انها متفاوتة الدرجات في الرقي العلمي والاجتماعي، مختلفة ألوان الثقافة والتربية، هذا عدا ما لدول اجنبية، من سلطان على بعضها.

أما الاعتراض الثالث، فقد اجبنا عنه في غير مكان من هذا الكتاب[1]، وأما الاعتراض الثاني، فنجيب عنه بقولنا: ان هذه البلاد المفصول كل جزء منها عن الاخر، بمسافات شاسعة وغير ذلك، قد توحدت يوم كانت وسائل المواصلات والنقل: الجمل والبغل والفرس، فأولى بها ان تتوحد اليوم، وهذه الوسائل اصبحت: القطار والسيارة والطيارة.

واما الاعتراض الاول، فجوابنا عنه، هو بان نضع أمام القارىء جملة «شكل الكيان العربي القومي الموحد المستقل»

(١) راجع الصفحة ٦١ – ٦٣.

الذي نكثر من ذكره وندعو اليه ، ونجاهد في سبيله بايمان وإخلاص وهذا هو شكل هذا الكيان بالجملة :

تبقى هذه الدول التي يشيرون اليها – الا ان تشاء واحدة منها الاندماج التام في الاخرى – وعلى رأس كل منها رئيسها ، فليس من حاجة الى انهيار عرش وزوال سلطان ، ولكنها تتفق جميعها على ما يلي :

اولاً – الغاء الحواجز الجمركية وجوازات السفر .

ثانياً – توحيد مناهج التعليم والتربية القومية استناداً الى اوضاع كل قطر .

ثالثاً – توحيد المناهج العسكرية ، وتوحيد قيادة الجيوش عند الحاجة .

رابعاً – توحيد النقد وأدوات القياس والوزن والكيل .

خامساً – توحيد التمثيل السياسي الخارجي والدفاع .

سادساً – توحيد الجنسية – رسمياً – مع الاشارة الى كل قطر ، اذا شاء ، كأن يقال مثلا (عربي عراقي ، عربي يمني ، عربي مصري الى آخره) .

سابعاً – توحيد الراية مع اشارة ترمز الى كل قطر ، ان شاء .

ثامناً – تعيين ما يمكن ان ينتجه كل قطر من هذه الاقطار ، صناعياً وزراعياً ، استناداً الى استعداده والى حاجة المجموع ، لتتم الوحدة الصناعية والزراعية ، وتنتفي اسباب المضاربة والفوضى في الانتاج لمصلحة الجميع .

ويدير هذا الكيان مجلس اعلى ، على ان يبقى لكل قطر استقلال داخلي ، في ادارة تستوحي من حالات اهله ، وقوانين تنفق مع وضعهم الاجتماعي والاقتصادي وغيره مما يحفظ لكل قطر شخصيته ، ان شاء .

هذا هو ، جملة ، شكل الكيان العربي الذي نريده ، والذي سيقوم حتماً ، رغم ما هنالك من مظاهر قد يتوهمون انها عقبات كأداء ، ورغم ما يبدو من سلطان لبعض دول غربية وغيرها على بعض اجزاء الوطن العربي .

قد يقول ناس ليس هذا وحدة ، وانما هو اتحاد . فليكن . فان الذي نرمي اليه ، انما هو بعث الامة العربية في مختلف اقطارها ، وانشاء مجموعة من هذه الاقطار محترمة ، تكون وطناً واحداً قوياً نافعاً ، يستمد قوته من اهل هذه الاقطار كلها ، باعتبار انهم امة واحدة ، تكافح مجتمعة في سبيل البقاء ، وفي سبيل المجد والخير ، على اساس انها وارثة العنصر العربي المجيد الصالح للبقاء . وانها تحمل رسالة عظيمة ، ينبغي لها ان تؤديها على احسن وجه وا كمله في العالم كله ، بالاشتراك مع اية امة مهيأة لمثل هذا ، من مختلف نواحي الحياة ؛ سواء أكان الشكل وحدة ام اتحاداً . ولعل « الاتحاد » كما حددناه افضل الان . ولسنا في صدد شكل الحكم الان من ناحية تفصيلية ، فالامر الرئيسي الحيوي الملح ، الذي لا يمكن ان نستغني عنه ، اذا كنا نشعر بوجودنا حقيقة ونحترم نفوسنا ، هو في الدرجة

الاولى ، انشاء هذا الكيان الذي حددنا شكله جملة . والذي سننشئه حتماً ؛ ليس فقط لما يترتب عليه من منافع اقتصادية واجتماعية وسياسية عامة للعرب كلهم ، بل لانه هو في حد نفسه ، امر ، من غير الطبيعي ان لا يكون . ولانه ؛ انما يعني اتحاد افراد عائلة واحدة من المحتم المفروغ منه ؛ ان يقع ، من دون ان يُشترط لذلك اي شرط .

القومية والدين

كانت العروبة ولم يكن اسلام ولا مسيحية

●

حينما انشأ العرب، ُملكاً ، وشادوا حضارة، لم يكن البشر يعرفون امة واحدة ؛ من هذه الامم المتحضرة المتمدنة ؛ القابضة على زمام الامر اليوم ؛ والمستعلية على العرب عنوة واقتدارا . فقد أنشأ العرب ملكاً وشادوا حضارة وسنوا قوانين، وتفننوا في اساليب التمدين والعمران منذ الوف السنين .

ولا نتكلم الان ، الا على العرب الذين عرفهم العالم بهذا الاسم ، كما يعرف العرب اليوم ؛ والذين ثبت علمياً -بواسطة ما كشفته اعمال التنقيب من آثار في « العربية السعيدة » اليمن، وفي غيرها - انهم عرب لا مجال للتأول في عروبتهم ، من ناحية النسب والخصائص، ولا من أية ناحية من النواحي . نتكلم على هؤلاء فقط الان ؛ وندع جانباً ما يقوله كثير من

المؤرخين، من ان دولة « حمورابي » نفسها دولة عربية . ودولة حمورابي هذه قامت في بابل – العراق – في القرن الخامس والعشرين قبل المسيح ؛ اي منذ ما يقرب من ٤٥٠٠ سنة . ندع هذه الدولة جانباً ونتكلم على الدول المجمع على عروبتها إجماعاً . والتي أنشأها العرب منذ ما يقرب من ٣٠٠٠ سنة ؛ لنسأل بعض الناس ، ومن بينهم من هم عرب ، أين كانت النصرانية ، وأين كان الاسلام، يومذاك ؟!

أفلا يحمل هذا هؤلاء الناس ، على الايمان بان العروبة شيء غير الدين [1] وانها خارجة عن نطاق المسيحية والاسلام [2] لانها

---

(١) العروبة هي نفسها دين عندنا نحن « العرب القوميين » ولكنها دين قومي محض . الجنة ، التي يعد بها المؤمنين الابرار ، تقوم في هذه الحياة الدنيا . وجهنم، التي يحذر منها المنافقين المارقين تقوم كذلك في هذه الحياة الدنيا . مع دعوتها – اي العروبة – الى اسمى ما في الاديان السماوية من اخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات .

(٢) نستطيع القول ان الاسلام عربي دون ان نخطيء . ولكننا نخطيء، اذا نحن قلنا ان العروبة هي الاسلام . فالدين الاسلامي دين عربي ، وفي رأينا انه يصعب جدا. ان يكون مسلم غير عربي ، مسلما كما اراد الاسلام ورسوله ان يكون ، لمجرد انه ولد من ابوين مسلمين. بل ينبغي له، ليكون كذلك، مع ما ينبغي ، ان يصير عربيا بلسانه وثقافته وميوله . وكان المصلح الاعظم يقول : (من احب العرب فقد احبني) .وكان يقول : انا عربي والقرآن عربي ولسان اهل الجنة عربي . ولم يقل فارسي او تركي او اوردو او سنسكريتي بينما ليس من الضروري ابدا ان يكون احدنا مسلما ليكون عربيا . وقد

وُجدت قبل الاسلام والمسيحية ، وتجمع في حضنها مسيحيين ومسلمين . نقول هذا ونحن ما نستطيع ان ننكر ما لوحدة الدين في امة واحدة ، مستكملة عناصر القومية ، من تأثير في عدم تصديع الصفوف في هذه الامة . فانه يكفي ان تسدّ هذه الوحدة منفذاً من المنافذ التي يتسلل منها الاجنبي ليبذر بذور الفساد والشقاق بين ابناء الامة الواحدة ، فيجعل منها معسكرين مختلفين ، فيضعفها ويتحكم فيها ويُذلها ، لا سيما اذا كان « الوعي القومي » في الامة ناقصاً .

أما أن تكون وحدة الدين شرطاً في وحدة القومية ، فهذا ما لا نفهمه ولا نستطيع ان نُقره . بل ان هذا لينافي تماماً العقل والعلم ، حتى والطبيعة النفسية . لقد وُجد البشر قبل ان وجدت الأديان . وقبل الاديان وجدت العائلة ، فهل أن اخوة في عائلة من العائلات ، يمتنع عليهم طبيعة أو عقلا او علماً ان يلبي فريق منهم دعوة دين ، ويلبي الفريق الآخر ، دعوة دين غيره ؟!.

يكون من ناحية ان الاسلام دين عربي ، جاء الوهم بان الذين يدينون بالاسلام من العرب هم وحدهم عرب . وهذا خطأ واضح جدا وقبيح ، استغله ويستغله الاجانب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، ليفرّقوا بين العرب مسلمهم ومسيحيهم ، وليبذروا فيهم بذور البغض والعداء ، فيغلبوهم على امرهم ، ويجعلوا منهم ومن بلادهم جسرا يعبرون عليه الى اغراضهم ومآربهم ، كما هو الواقع اليوم ومنذ مئات من السنين . أوَ لم يئن للعرب ان يدركوا هذه الحقائق ؟!

وهل انه من المفروض أن يدينوا جميعاً بدين واحد لكي نسلّم بانهم عائلة واحدة ؟!.

ولكنه من المفروض، ومن المحتوم ان يخلصوا جميعاً لهذه العائلة. إذن فان مايزعمونه من ان اختلاف الاديان في العائلة العربية الكبرى (الامة العربية)، يمنع ان تكون امة واحدة، وان تؤلف كياناً واحداً، شيء مخالف للعقل والعلم. وما هذا الذي يبعث هذا الزعم، سوى شيء طارىء خلقته السياسات الاجنبية والنزعات الشعوبية وامور اخرى ... تساعدها شرذمة من رجال الدين النفعيين في غفلة من الزمن، او قل في غفلة من الامة نفسها. وفي حالة تفسخ هذه الامة وجهلها وضعفها. وقد انقضى هذا العهد او كاد، ولن يعود. واذا كان في البلاد العربية فريق من الناس قليل، لا نستطيع الا أن نحسبهم عربا بالنظر الى لغتهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومع ذلك فهم يقاومون « قضية العرب » ويتنكرون للعروبة، فلا يندمجون فيها، فليس مردّ ذلك إلى انهم يدينون بالمسيحية أو بغيرها. كلا. بل مرد ذلك الى انهم كما يقولون هم انفسهم من عنصر غير عربي [1]، فمسيحيتهم في الاصل حينما يكونون مسيحيين، براء من هذا، بدليل ان المسيحيين العرب المقتنعين بعروبتهم، لا يرون بينهم وبين المسلمين العرب، اي فرق في

(١) هذا اذا صح ما يقولون ... ولعلّ « المرد » الاول، هو دسائس الاجنبي.

القومية. فهم يندمجون في العروبة اندماج افراد العائلة الواحدة، يعتبرون نفوسهم – كما هم في الواقع – اخوة لبقية افراد العائلة العربية. دانوا بهذا الدين، ودان بقية أفراد العائلة بدين آخر، من دون ان يجعلهم هذا، عائلتين متباينتين مختلفتين. وان هذا وحده ليعجز في الواقع، عن ان يجعلهم كذلك، لأن الامر يمتنع طبيعياً، وليس فقط عقلياً وعلمياً. كما يمتنع ان تكون أمتان من عنصرين مختلفين، أمة واحدة، وإن دانتا بدين واحد [1].

---

(١) مثال ذلك الامة الانكليزية والامة الروسية، فهما من عنصرين مختلفين يمتنع عليهما ان تكونا امة واحدة، مع انهما تدينان بدين واحد، والامثلة على هذا في الشرق وفي الغرب كثيرة جدا، لا يصعب على القاريء ادراكها.

من هم العرب ؟ [1]

يقول[1] الاستاذ « هوغارت »: ان العرب استمالوا الى لغتهم وآدابهم ، حتى وطبعوا بسحنتهم الطبيعية من الاجانب ، اكثر من أي قوم آخرين قبلهم وبعدهم ، من دون استثناء أحد ، حتى ولا اليونان والانكلوسكسون ، أي ان العرب كانوا انجح المستعمرين[2] على الاطلاق. وهذا ما يقوله الاستاذ « كوك » ايضاً . ويقول الدكتور « فيليب حتى »: انه لم تساهم امة في ميدان التقدم البشري في القرون الوسطى كما ساهم العرب . كذلك

(١) تأخذ هذا الفصل من احدى المحاضرات العلمية التاريخية التي كان يلقيها « حزب عصبة العمل القومي » في بيروت سنة ٩٣٧ – ١٩٣٨

(٢) يجب ان لا يُفهم من كلمة « المستعمرين » هذه ما يُفهم منها اليوم. فالعرب كانوا ينشرون العلم والعمران والعدل والرخاء ومكارم الاخلاق ، في كل بلاد يفتحونها ويمدون سلطتهم عليها . وكانوا لا يفرقون بين ابنائها ، ولا يميزون فريقاً على فريق منهم ، لاغراض ومآرب ، ولا يساوون الا للحق. ومن هنا جاءت كلمة الفيلسوف الفرنسي « غوسطاف ده لوبون » : ما عرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب .

رأينا ان العرب كانوا عسكريا أعظم الفاتحين .

وإن لغة العرب ما تزال حتى اليوم، لغة التخاطب والتدوين لنحو سبعين مليونا من البشر، كما انها كانت طوال مدة القرون الوسطى ، لغة العلم والثقافة والفكر ، في العالم المتمدن . وما تزال اللغات الاوربية الحية ، تحمل طابع اللغة العربية ، في كثير من الكلمات والاسماء . اذن ، فقد كان العرب أعظم الفاتحين وأعدلهم وأرحمهم ، وقد حملوا مشعال العلم والثقافة والتمدن قروناً طويلة[1] ثم هم لا يزالون رغم النكبات والمصائب المختلفة ، امة حية كريمة . فمن هم العرب ؟ وما هي مواطنهم

---

(١) الكلام هنا على العرب بعد الفتح العربي الاخير الشامل ، الذي اول ما وقع ٦٣٥ م . في بر الشام « موقعة اليرموك » . ثم سنة ٦٣٧ في العراق العجمي « موقعة المدائن » . ثم سنة ٦٤١ فتح مصر . ثم تتالت الفتوح، ففتح الجيش العربي ، افريقية الشمالية ثم اسبانية ، وبها بدأ الفتح في بقية اوروبة . ونذكر لهذه المناسبة وبصورة مجملة ، اشهر القواد الذين اشتركوا في فتح هذه البلدان وهم : « خالد بن الوليد ، ابو عبيدة الجراح ، عاصم التميمي ، الاحنف بن قيس التيمي ، المثنى بن حارثة الشيباني ، سعد بن ابي وقاص ، حذيفة بن اليمان ، ميسرة بن مسروق العبسي ، النعمان بن مقرن ، مجاشع بن مسعود ، عتبة بن ابي وقاص ، شرحبيل بن حسنة ، عمرو بن العاص ، يزيد بن ابي سفيان ، عقبة بن نافع، حسان بن النعمان ، موسى بن نصير ، طارق بن زياد . ويحضرنا من اسماء النساء اللواتي اشتركن في الفتح ، خولة بنت الازور في اليرموك ، واروى بنت الحارث في القادسية .

الاصلية .. وسيرتهم الاولى . وما هي تلك القوى التي تفجرت مع الفتح ، فانارت سبل العالم حينــــاً من الدهر طويلاً ، ثم عادت الى الركود ، ثم عادت الى الظهور والحركة مع نهضة القرن العشرين ؟!

هذا ما سنحاول الاجابة عنه ، مستندين إلى أوثق المصادر . لا نقول إلا الصدق . ولا نتوخى الا الحقيقة .

ان كلمة « ساميون » جاءت من التوراة نسبة الى سام بن نوح . ولقد ورد في التوراة ما يدل على ان الشعوب التي عرفت بـ « السامية » هي من نسله . وعليه فهم عرق واحد من عروق البشر . على انه وان بقي الاسم ملازماً لهذه الشعوب ، فـان تفسير التوراة لاصل الشعوب السامية لم يبق مقبولا في الاوساط العلمية . فمن هم الساميون اذن ؟

لقد استنتج العلماء من دروسهم اللغات الساميــة في القرن التاسع عشر ، ان هذه اللغات : لغات البابليين والاشوريين ، والكلدانيين والعموريين والعرب ، متشابهة في الفاظها وتراكيبها ، وانها من اصل واحد يسمونه اللغة الساميـــــة . ولم يصلوا الى اكثر من ذلك حتى الان . ثم اختلف العلماء في موطن الساميين الاصلي ، وجاؤا بنظريات عديدة في الموضوع ، على ان النظرية المقبولة الآن ، هي : ان الجزيرة العربية هي مهد الساميين الاصلي . منها تدفقوا موجات الى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، والى ساحل البحر الاحمر الغربي .

ان اول هجرة من الجزيرة العربية ، حدثت حوالي سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، واتخذت طريقها على ساحل البحر الاحمر ، فحول شبه جزيرة سيناء ف «سورية» ، ف «مصر» . وفي الوقت نفسه تقريباً ، تدفقت من الجزيرة موجة اخرى على الشاطىء الشرقي ، الى وادي الفرات ودجلة . وفي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد قذفت الجزيرة بموجة جديـــدة من البدو ، اولئك هم العموريون ، ومنهم الكنعانيون والفينيقيون . وبين سنة ١٥٠٠ الى ١٢٠٠ قبل الميلاد ، تسلل اليهود الى فلسطين ، وبقي في الجزيرة من بقي من العرق السامي وخضع لمؤثراتها ، مئـــات اخرى من السنين ، كما خضع الذين نزحوا عن الجزيرة لمؤثرات غير تلك . فوضحت الفروق بينهم وبين المقيمين في الجزيرة ، واصبح هؤلاء يؤلفون أمة فيها عوامل الوحدة واضحة . وهؤلاء هم « العرب » .

ثم اخذ هؤلاء العرب يطلعون على العالم بميزاتهم الخاصة ، منذ سنة ٥٠٠ قبل المسيح . فحوالي السنة الخمسماية قبل المسيح ، ظهر الانباط العرب في « البطراء » — شرق الاردن — وانشأوا فيها حضارتهم . وقبل ان ابدأ الحديث عن المدنية العربيـــة الاولى ، أود ان أتساءل معكم لماذا سُمي العرب عرباً ؟

يقول الاستاذ « ولنغسون » أن كلمة عرب ، كانت مستعملة لتدل على أهل « العربة » ، أي الصحراء . وان كلمتي : عبري

وعربي مشتقتان من ثلاثي واحد هو « عَبَرَ » الذي معنــاه : رحل من مكان الى مكان . وقطع مرحلة من الطريق . وهناك اقوال اخرى ، هذا القول اقربها الى العقل والمنطق حتى الان.

إذن ، فصفة التنقل في البادية ، او «العربة» وهي الصحراء، والرحيل من مكان الى مكان في طلب الماء والكلأ ، هي التي اشتُق منها اسم « العرب » بالنظر الى معنى كلمة « عربة » في لغتهم و كلمة « عبر » .

مركز الحضارة

تُعد بلاد العرب الجنوبية ،من اقدم مراكز الحضارة عند الامم السامية ، إذ كان موقع بلاد اليمن الجغرافي ، من أهم الاسباب التي أدت الى نشوء الحضارة في ربوعها ، قبل ان يظهر لها أثر ، في المناطق الشمالية ، من الجزيرة العربية .

ان اليمن بهضابها الكثيرة ، وجبالها العالية ، وسهولهـا الفسيحة ، تعتبر من أخصب بقاع الارض . هذا مع قربهـا من البحر وموقعها على طريق الهند . وكان هــذا من أهم عوامل نهضتها الاولى . ومع انه قام في اليمن ، كما سترى ، دول عربية ذات حول وطول ، الا ان حضارتها لم تكن حربية في الاساس ، كحضارة وارثيها من الدول العربية بعد الرسالة ، اي بعــد القرن السابع للميلاد . ويُسمي الدكتور «حتي» العرب اليمنيين : (فينيقي البحر الجنوبي). فهم قــد رسموا خرائط هــذا

البحر ، وبيّنوا مسالكه ، وتحكموا في رياحه ، وسيطروا على تجارته ، في الالف والخمسماية سنة قبل المسيح [1] ؟

كذلك انشأوا طرقاً برية للقوافـــل ، من حضرموت الى مأرب ، ومنهـا الى مكة والبطراء ، ثم الى « سورية » ومصر والعراق .

اللغة العربية الحميرية

وقبل ان احدثكم عن الدول العربية اليمنية وحضارتها ، اريد ان ابين لكم ، ان لغة هذه الشعوب العربية ، كانت اللغة الحميرية ، اي اللهجة العربية الجنوبية . وقد كان لهم تسعـــة وعشرون حرفاً من حروف الهجاء. ويعتقد الدكتور « فيليب حتي » ان هذه الابجدية ، تؤلف الحلقة بين الحروف العربيـة القديمة وبين الابجدية التي سُمّيت بالابجدية الفينيقية . واحرف هذه الابجدية هي مـــا يعرف بـ (المُسند) . أي ان العرب الحميريين كانت لهم حروف للكتابة . اخذهـــا عنهم العرب الفينيقيون ورقّوها . وقد وجدت كتابات كثيرة في اليمن انارت سُبل المؤرخين لمعرفة احوال ذلك الزمان البعيد . ومما لا شك فيه ، ان آثاراً كثيرة ، ناطقة بحضارة العرب في تلك العصور ، ما تزال تحت الرمال ، تنتظر أعمال التنقيب .

---

(١) اليس في هذا مفخرة من مفاخر العرب . الا تتناول هذه المفخرة العرب جميعا ، الذين يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، على السواء ؟!

أعود الى اللهجة الحميرية فأقول ، ان في القرون القريبة من الفتح العربي اخذت اللهجات الشمالية ، تتمتع بقوة وعزة ، بينما اخذت اللهجات الجنوبية تتدهور . وكان ذلك لفقدان بلاد اليمن حريتها واستقلالها ، فتدهورت حضارتها وانحطت . وتبعتها اللهجة حتى زالت . وحلت محلها العربية الشمالية ، التي كانت بدأت تفيض فتوّة وقوة .

الدولة المعينية

إن اقدم دولة عربية ، اظهرتها الابحاث العلمية ، في الآثار الباقية ، وكتابات المؤرخين القدماء ، هي الدولة المعينية ، التي ازدهرت وقويت شوكتها في اليمن بين السنة ٦٥٠ ق. م ، والسنة ١٣٠ . وقد سيطرت في أيام عزها ، على معظم الجزيرة العربية . وكان لها « مستعمرات » في أطراف البلدان المجاورة ، أهمها بلد ما تزال تحمل اسم المعينيين مُحرّفاً ، وهي معان المصرية ، أو القسم الجنوبي من معان المعروفة اليوم . وحفظت الاثار أيضاً ، أخبار ممتلكات معينية سبائية في وادي الفرات ، وما تزال « معين » ، حتى اليوم ، تحمل اسم المملكة التي كانت هذه البلدة عاصمتها . وقد تمكن الاستاذ « مولر » من معرفة اسماء ستة وعشرين ملكا ، من ملوك « معين » واستنتج ، من وحدة اللفظ ، وتكرر بعض الاسماء ، ان نظام الملك كان وراثياً ، عند اجدادنا المعينيين .

الدولة السبائية

وقبـــل أن تزول دولة المعينيين ، نهضت الدولة السبائية بجوارها، على انه لم تنقض ، ثلاثة قرون، حتى اصبح السبائيون ورثة المعينيين . فبسطوا نفوذهم وسلطتهم على جنوبي الجزيرة العربية وحكموهـا . وكانت « مراوح » – واسمها الحديث « خَرِبَة » – وهي تبعد مسافة يوم عن مأرب الى الغرب ، عاصمة السبائيين ، في الثلاثماية سنـة الاولى ، من حكمهم ، ثم اتخذوا مأرب قاعدة لملكهم .

ومدينة « مأرب » هذه التي اشتهرت ، بسدها العظيم ، تعلو ٣٩٠٠ قدم عن سطح البحر . وقد كانت ملتقى طرق التجارة ، بين الشرق والغرب .

الدولة الحِمْيَرية الاولى

وبعد سنة ١١٥ قبل الميلاد ، نرى لقب ملوك سبأ ، يصبح « ملوك سبا وريدان » . وريدان هـذه ، التي عُرفت فيما بعد باسم « ظِفار » ، كانت مقاطعة عـلى ساحل البحر . وهنا يبدأ عهد المملكة الحِمْيرية الاولى ، التي دامت ، حتى سنة ٣٠٠ بعد المسيح . وقد اتخذ الحِميريون ، الذين لا يختلفون بشيء هام عن ابناء جنسهم المتقدمين : السبأيين والمعينيين « ظفار » هذه ، عاصمة لهم . ومما يستحق الذكر ، انه في هـذا الدور ، توغل القائد الروماني « اليوس غاليوس » عـلى رأس جيش روماني

ـ سنة ٤٢ ق.م.ـ ليُخضع اليمن ، ويسيطر على تجارتها ، لكنه لم يوفق الى شيء من هذا ، وعاد فاشلا ببقايا جيشه الى مصر . وكانت هـذه اول حملة واخر حملة عسكرية تجرأ الاجانب ان يسيّروها على الجزيرة العربيه .

وفي هذا الدور ، عبر العرب الى ارض « كوش » حيث وضعوا أسسَ المملكة الحبشية ، وانشأوا تلك الحضارة ، التي لم تكن لتقوم لولاهم في الحبشة . وكانت عـــاصمتهم الاولى « اكسيوم » نواة المدنية الحبشية الاولى . وقد بنى ملوك حِمَير ما خلد اسمهم ، كما فعل السبأيون من قبلهم . من ذلك : « قصر غمدان » . وقد بُني في القرن الاول للميـــلاد ، وبقي قائماً ما لا يقل عن ٦٠٠ سنة ، وشاهد الهمذاني بقاياه ، وقال في وصفه له : انه كان عشرين سقفاً [١] . أي طبقة ، بين كل طبقة وطبقة عشرة اذرع . وقد بُني من شتى انواع الحجارة الجميلة الصلبة ، وحوى كثيراً من ايات الزخرف والفن .

---

(١) عشرون طبقة ، كل طبقة عشرة اذرع . اي انه يتألف علوه من مايقي ذراع ، ومنذ ١٩٠٠ سنة . اليست هذه حضارة . اليس هـذا عمراناً . . . الا يفاخر بعض الامم اليوم بمثل هذا : بناطحات السحاب مثـلا ، في اميركا وغيرها ، بينا اجدادنا خلقوا هذه الحضارة منذ ١٩٠٠ سنة كما رأيت . فهلا يبعث هذا وغيره من مثله ، في نفوس العرب اليوم ، ثورة تدفعهم الى معالجـة حاضرهم ، واعداد مستقبلهم ، لتتجانس الحلقات في سلسلة حياتهم وتنسجم ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا . . .

على انه في خلال القرن الاول بعد المسيح . أخذت الاحوال الخارجية تتبدل بشكل ، ادّى في النهاية ، الى تقهقر الاصقاع العربية الجنوبية . فان العرب اليمنيين ، كانوا كما ذكرنا ، قد سيطروا على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، يفرضون رسوم المرور على البضائع الاجنبية ، ويبيعون حاصلات بلادهم باغلى الاثمان . وكان العرب في البطراء ، وفي تدمر ، وفي العراق ، يشاركون العرب اليمانيين في التحكم ، في التجارة الشرقية ، حتى سقطت مصر بيد الرومان ، الذين تبعوا البطالسة : اسلافهم في حكم مصر ، في سياسة المحاربة لاستئثار العرب بطرق التجارة . وكان « بطليموس » الثاني ، قد اعاد فتح القنال القديمة ، بين النيل والبحر الاحمر ، واتم الرومان العمل ،بان تجرأوا على البحر الاحمر ، يساعدهم الاحباش ، حتى تمكنوا من الوصول الى الاوقيانوس الهندي ، فسقطت اليمن والبطراء وتدمر من أوج مجدها الاقتصادي ، وتبع السقوط الاقتصادي التدهور السياسي .

ونحو السنة الثلاثمائة بعد المسيح ،نرى نعت الملك الحِمْيَري أصبح (ملك سبأ وريدان وحضرموت واليمامة وعرب الجبال وتهامة) ، وهنا يبدأ عهد المملكة الحميرية الثانية .

الدولة الحميرية الثالثة

اذا استثنينا الفترة القصيرة ، التي مدّت فيها الحبشة حكمها

على اليمن ، نستطيع ان نقرر ، ان ملوك العرب من حمير — وكان لقب الملك منهم تبّع — ظلوا ملوك البلاد التي ذكرناها قبلا ، حتى حوالي سنة ٥٢٥ ب . م. ويعرف الان اسماء تسعة من ملوكهم ، وقد ورد ذكر بعضهم كثيراً في اخبار العرب واشعارهم . ومن المهم في هذا العهد ، انه لا ينقضي الا ونرى اليهودية والمسيحية قد دخلتا الجزيرة العربية . ونجد آخر ملوك حِمير : ذا نواس ، يهودياً .

دخل الدين — والدين آفته رجاله — فانقسم عرب اليمن ، الى يهود ونصارى ، وكان ان تأثر ذو نواس ، آخر التبابعة ، بخضوع نصارى نجران ، وهم عرب ، لنفوذ الاحباش ، فدبّر لهم مذبحة في تشرين الاول سنة ٥٢٣ ، فتنادى النصارى الى الانتقام ، وبامر امبراطور بيزنطية ، عبر سبعون الفــاً من الاحباش النصارى الى اليمن ، فأفسدوا بقيادة «ابرهة» المشهور على اليمن استقلالها . وتحكموا بأهلها جميعاً من يهود ونصارى ، بعد ان كان المزعوم انهم جاؤا لمساعدة النصارى والانتقام لهم!

و « ابرهة » هذا ، هو الذي قاد الاحباش في حملتــه على مكة عام الفيل ، في القرن السادس بعد المسيح ، ففشل ، ونزل بجيشه خسائر كثيرة ارغمته على الارتداد عنها .

وفي هذا الدور ، تهدم سد مأرب ، ولم تكن المرة الاولى التي تهدم فيها السد ، ولكنه كان كلما تهدم منه شيء يرمم . أما هذه المرة ، في دور ابرهة الحبشي ، فلم يكن بالامكان ترميمه ،

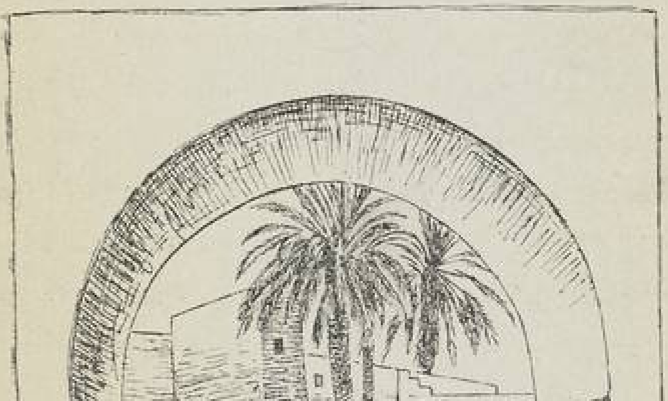
فبقي مهدماً. ومما يذكر، ان بني غسان واللخميين هجروا اليمن الى حوران والحيرة ، بعد حدوث الثغرة الاولى في السد. وكذلك فعل بنو طي ، والتنوخيون وكِندة ، وكثير غيرهم من عرب اليمن.

وبقيت الاحباش سلطة على اليمن ، حتى ثارت النخوة العربية في رأس سيف بن ذي يزن ، فقاتلهم، ثم استعان بالفرس فأعانوه ، وطرد الاحباش من وطنه ، على ان هذه الحركة «الوطنية» لم تثمر بالنتيجة ، اكثر من ان بدّلت بالاحباش الفرس ، الذين اختلسوا باساليبهم ، الحكم من أيدي العرب اليمنيين، وظلوا فيه حتى ظهور الدين العربي الجديد ، ودخول البلاد في قبضة عرب الشمال ، في القرن السابع بعد المسيح.

– انتهى ما أخذناه من محاضرة «حزب عصبة العمل القومي» –

لقد قلنا فيما سبق ، اننا لا نضع في كتابنا هذا تاريخاً للعرب او لقضيتهم، وإنما نعرّف «قضية العرب» تعريفاً، لتصبح واضحة مفهومة تماماً ، لدى الجميع ، فاذا ما عرضنا للتاريخ في بعض الصفحات ، فانما يكون ذلك لِما لهذه القضية من علاقة بالتاريخ تساعد على ايضاحنا حقيقتها . وافهامنا الجميع كنه جوهرها . وانها قضية المسيحيين العرب ، كما هي قضية المسلمين العرب سواء بسواء . لان العروبة كما قدّمنا ، وكما يتبين دون أي خفاء ، من هذا الفصل ، هي طابع لنا جميعاً ، وهي بهذه الصفة قائمة قبل الاسلام وقبل النصرانية ، بطبيعة الحال ، فليس إذن

من مبرر للزعم ، ان المقصود بكلمة « العربي » ، المسلم العربي ، دون المسيحي العربي ، فقول مثل هذا ، ينافي العقل والتاريخ والحقيقة والواقع .



منظر من المغرب العربي

وهم

•

س – ٢٥ – من اين جاء هذا الوهم ، لبعض العرب ، من ان كلمة « العربي » معناها المسلم ؟

ج – – لقد جاء هذا الوهم بصورة عامة من الامور التالية :

اولا – الجهل بتاريخ الامة العربية .

ثانياً – مفاسد بعض الدول الاجنبية في بلاد العرب .

ثالثاً – تعاليم الارساليات الاجنبية .

رابعاً – سوء تصرف بعض العرب المسلمين غير المسؤولين وبعض المسلمين المسؤولين ، غير العرب ، في عصر جهل وغفلة .

وقد يكون في جملة الاسباب الكثيرة ، للجهل بتاريخ العرب، هذه الاسباب المعروفة من الكثيرين منا، سبب اساسي، هو انصراف المؤرخين العرب ، بعد الاسلام ، عن تاريخ العرب قبل الاسلام . وتجنبهم الاشادة بالدول العربية والمدنية العربية ، التي قامت قبل الاسلام وقبل النصرانية .

جاء الاسلام على يد عربي ، كان يتيما مغموراً ، فما لبث ان

جعلت منه اعماله وتعاليمه، بواسطة الاسلام ، رجلاً فوق البشر، يُذكر اسمه وحده من بين البشر جميعاً مع اسم الله . وتدفقت انوار الدين الجديد ، بواسطة العرب على العالم اجمع . وكأنما كان العرب مهيئين ، لا ينقصهم الا هذه الهداية ، ليفتحوا الفتوح ويؤسسوا الدول ، وينشروا في الدنيا العلم والحضارة والمدنية والعدل ومكارم الأخلاق. فعجب مؤرخو العرب لهذا الحدث العظيم .وتناسوا ما كان للعرب من قبل، من دول ومن مدنية . وقد يكون خطر لهم،انه من الوفاء للعهد الجديد ، ان يُبدأ به في التأريخ للامة العربية ، لا سيما وقد كانت مرّت برهة من الزمن ، على العرب قبيل الاسلام ، وهم في غفلة وجهل وتضعضع . وهي البرهة الفاصلة بين المدنية العربية الاولى ، والمدنية العربية الثانية.والتي اتفقوا على تسميتها بـ « الجاهلية». من دون ان يحددوا بدايتها ، وقد حددوا نهايتها برسالة المصلح الاعظم .

وقد يكون خطر لهم كذلك ، ان الكلام على انوار المدنية الاولى ، قد يقلّل من شأن انوار المدنية الثانية هذه . وانها لنظرية خاطئة من الاساس في نظرنا . ثم ماذا على القمر من ضوء النجوم ! وماذا على الشمس من ضوء الكهرباء !!

ومهما يكن من امر ، فان الضرر الذي الحقه بنا هؤلاء المؤرخون ، ضرر كبير جداً ، سواء أصح ما استنتجناه ، من ان هذه النظرية التي اشرنا اليها ، هي التي صرفتهم عن ماضي

العرب قبل الاسلام ، ام كان السبب غير ذلك . فانهم حرمونا من جزء كبير من تراثنا القومي ،المدفونة اخباره في صدورهم ، وفي سهول الجزيرة وجبالها – ولا سيما في اليمن – عسى ان يقيّض الله لنا من امرنا ما يوفقنا الى اكمال البحث والتنقيب عن آثارنا القديمة التي بدأ الاجانب يكشفون عنها النقـــاب [1] ، – وسيقيض لنا هذا ان شئنا - فلما جاءت الارساليات الاجنبية، وكلها – وليس اكثرها – دينية وسياسية ، دينية عن هوس ، وسياسية تتستر بالدين عن خبث ومكر ، اخذت تنشر فيما تنشره من السموم مع نشرها العلم ، هذه الدعاية، او ما هو في معناها: (ان العرب نهضوا في القرن السابع للميلاد [2] بعد ان دانوا بالاسلام . وقد اثارهم النبي محمد (ص) وأسسوا بعد موته مُلكاً وهم مسلمون ، فالذين لم يدينوا بالاسلام ، لا تعنيهم العروبة في شيء ، وليس لهم من مفاخر العروبة من شيء – هذا اذا هم اعترفوا بما للعروبة من مفاخر – فنهضـــة العرب اذن ، تعني المسلمين العرب فقط ...)

كلام كله مغالطة وتخبيص وتضليل وسموم . ومن هنا جاء الوهم بان كلمة « العربي » معناها المسلم . وقد ساعد على نشر

(١) اول من خطر له التنقيب عن اثار العرب في اليمن – حضرموت – عالم الماني اسمه « غايابس » توفي سنة ١٧٩١ ، وقد الف بعثة لهذا الغرض سنة ١٧٦١ بتشجيع من ملك الدنمرك « فيليب » .

(٢) وكانوا وما يزالون يقللون من شأن هذه النهضة ونتائجها .

هذه الدعاية الخبيثة ، الجهل بتاريخ العرب كما قدمنا ، — هـذا الجهل الذي من اسبابه الكبرى الارساليات نفسها — والتصرف السيء ، الذي كان يتصرفه ، في ادوار معيّنة ، بعض المسلمين العرب غير المسؤولين — ، على انه كثيراً ما كان يُردّ على هذا التصرف بمثله — والذي كان يستغله الاجانب وهم في عز صولتهم بشيء كثير من سوءالنية وسوء القصد والى ابعد حد. يساعدهم ، في ذلك ، اجانب من المسلمين ، — والاجانب في نظرنا سواء ، مع تفاوت في المقدرة والتصميم على الايذاء — لكي يزيدوا في التفرقة بين ابناء الامة العربية الواحدة ، فيسهل عليهم ان يسودوا هذه الامة ، بمسلميها ومسيحييها .

وبقيت هذه العوامل الاربعة : (الجهل بتاريخ الامةالعربية ، ومفاسد بعض الدول الغربية والشرقية ، وتعاليم الارساليات الاجنبية ، واستغلال المفسدين سوء التصرف القديم) الواقـع منه والمزعوم ، — والذي كان يمكن ان يزول اثره لولا هؤلاء — تعمل عملها زمناً طويلا ، ثم اخذ يخف تأثيرها ، رويداً رويداً ، بواسطة انتشار العلم ومنطق الحوادث ، الى ان نشطت من جديد بعد الحرب العالمية الكبرى ، واستفحل امرها ، فتنبه لها القوميون العرب ، من يدينون منهم بالاسلام وبالمسيحية ، وحاربوها في لين حيناً ، واحياناً في عنف . ومـا يزالون يحاربونها . وقد صمموا ان يقضوا عليها ، وسيفعلون ان شاء الله.

ليست اسلامية ولا شرقية

وان تكن تتصل بالشرق وبالاسلام

●

تعوّد بعض الكتاب والباحثين في معرض الكلام على الاقطار العربية ، سواء أكان الموضوع اجتماعياً ، ام ثقافياً ، ام اقتصادياً ، ام سياسياً ، ان يخلطوا بين القضية العربية وبين ما يسمونه القضية الشرقية ، وبينها وبين ما يسمونه القضية الاسلامية ، فيذكرون الجامعة الاسلامية ، ثم لا يفرقون بينها وبين الجامعة العربية ... وفرق بين الجامعتين كبير. واكثر ما يقع هذا لبعض اخواننا المصريين. وقد لاحظنا انه كثيراً ما يقع لبعض اصحاب الشأن والوزن من الكتاب والباحثين فيهم ، حتى ولبعض اصحاب الشأن والوزن من رجال السياسة ايضاً . وانه لامر مؤسف حقاً ، قد يصوّرنا لدى الاجانب ولدى الشعوبيين وضعيفي الايمان من العرب انفسهم ، اننا لا نعرف ما نريد. او اننا لا نحس احساساً قومياً ، فلا نفرّق بين جامعة اسلامية ، وجامعة عربية . والحقيقة والواقع غير هذا . وإن هي

الا غفلة فيما نعتقد ، تعرض للذين ليست الشؤون القومية الصرف من اختصاصهم . او بكلمة اوضح ، ليسوا من اصحاب الايمان في القومية العربية . وقد يكونون من اصحاب النظر المضطرب ، في مسألة نشوء امة وانشاء دولة . وقد يتنبهون الى هذا الخطأ — اذا هم نبهوا اليه — ويعودون عنه [١] .

خذ مثلاً ما يرد على السنة البعض واقلامهم في مصر من هذا القبيل . كأن يقولوا : مصر واخواتها الشرقيات ! يعنون بالاخوات الشرقيات : (الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية) ، ويبالغ بعضهم فيقول ، بدلا من الاقطار العربية ، اقطار العربية ... فيشوّه وجه الحقيقة هنا عامداً او غافلا لا فرق . اذ يصبح المعنى ، الاقطار التي تتكلم العربية وليست بعربية [١] . كأنما هم يريدون ان يخرجوا مصر من عداد

«١» نعتقد انه قد بدأ دور هذا التنبّه ، وتجاوزه الى اكثر من ذلك . ونقول مرة اخرى اننا كتبنا هذا الكتاب منذ سنوات . ولم نحب ان نغير فيه شيئا ، ليبقى كما قلنا ، صورة ناطقة صحيحة عن الحالة العامة يومذاك في الوطن العربي كله على اختلاف اقطاره ، وعما كان يضطرب في نفسنا وفي فكرنا ، من دون اي تبديل .

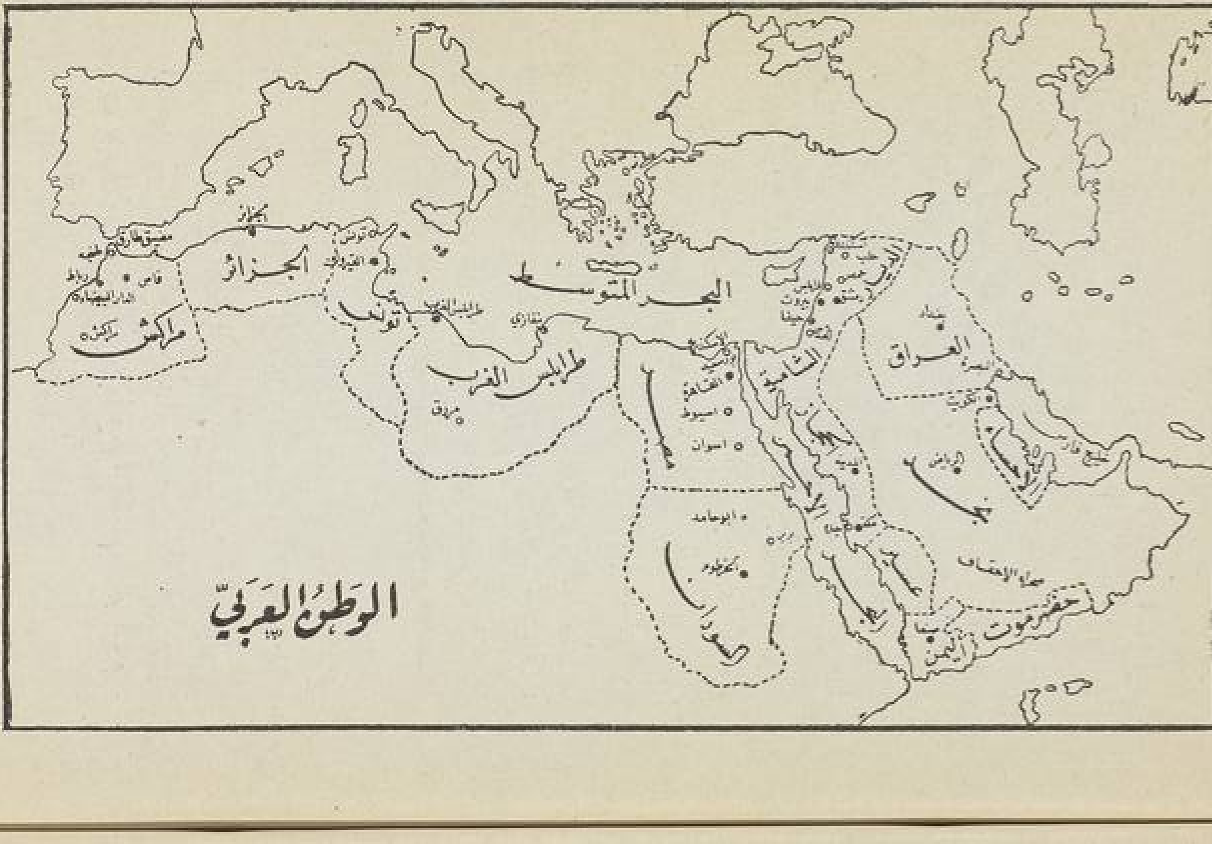
(١) اذا نحن قابلنا هذه الاقوال بما يقوله الاستاذ جورج انطونيوس في كتابه القيّم « يقظة العرب » الذي وضعه بالانكليزية ، تبين لنا في جلاء وجه المرض ، او وجه الغفلة في نفوس اصحاب هذه الاقوال ، وانه من الطبيعي ان نأسف ونتألم لغفلتهم هذه . يقول الاستاذ انطونيوس في كتابه المذكور وهو كتاب شهد له كل من قرأه انه بالغ منتهى التحقيق والتمحيص ما معناه : (ان العالم العربي كان يشمل في القرون الوسطى — عدا الاقطار

هذه الاقطار ، بينما يزعم بعضهم سراً او علانية ، ان مصر زعيمة الاقطار العربية [٢] . وما أدري كيف يوفّقون بين هذه العقلية وبين زعمهم هذا. ومثلا آخر ، كأن يقولوا : الجامعة الاسلامية تقتضي كذا ... ووجه الصعوبة في تحقيقها كذا ... وهم في معرض الكلام على العرب والاقطار العربية ، – بينما ليس فينا من يبحث عن هذه الجامعة ويُعنى بها ، فنحن في حاجة الى العناية بالجامعة العربية ، واستقلال العرب ، ومستقبل العرب – وهذا مزج غير موفق ، ينكره العلم وتنكره القومية في مثل عصرنا هذا ، عصر العلم وعصر القوميات .

وما ادري ماذا يُبقي هذا البعض من اخواننا المصريين لايران مثلا والافغان وتركيا ، وغيرهن من الامم الشرقية ، حينما يُعرّفون الشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار

العربية المعروفة اليوم – العجم وتركيا واسبانيا وايطاليا وفرنسا . وان الاقطار العربية الصرف ، والتي لا تزال عربية حتى الان هي : الشام ، والعراق ، والحجاز ، ونجد ، واليمن ، ومصر والسودان وطرابلس ، وتونس ومراكش والجزائر) .

(٢) اذا آمنت مصر كما ينبغي لها بالقومية العربية – ومن غير الطبيعي ان لا تؤمن – لن يصعب عليها ان تتزعم الاقطار العربية . ففي مصر علم وعمران . وفيها كثرة عدد ووفرة غنى . ومصر بعد ، وطن محمد علي الكبير الذي فكر قبل غيره بالوطن العربي والوحدة العربية ، منذ اكثر من ماية سنة ، وكادَ يوفق الى تحقيق فكرته لولا امور يذكرها الذين يشاء ربك ان تنفعهم الذكرى ....



الوطن العربي
مراكش
الجزائر
تونس
طرابلس الغرب
البحر المتوسط
مصر
السودان
الشام
العراق
نجد
اليمن
حضرموت
صحراء الأحقاف
القاهرة
اسيوط
اسوان
بغداد
الرياض
البصرة
دمشق
بيروت
حيفا
حلب
بنغازي
مرزق
فاس
الخرطوم
الكويت

العربية بقولهم : (اخوات مصر الشرقيات) ام ان اخواننا هؤلاء، لا يرون فرقاً بين ما يربطهم من روابط، بايران وافغان وتركيا، وبين ما يربطهم من روابط بالشام والعراق واليمن وغيرهن من الاقطار العربية !!

اذا كان الامر كذلك ، فتكون مصيبتنا بعضنا بالبعض الآخر ، اشد مما قد يخطر في بال بعض المفكرين ، انها تكون مصيبة ممثلة في مرض يتصل رأساً بالفهم وبالروح ، فينتج هذا الضلال البعيد في التفكير ، والحكم ، والاتجاه والتوجيه .

انما مصر قطر من الاقطار العربية ليس غير ، والاقطار العربية مجتمعة جزء من الشرق .

ان « قضية العرب » قضية عربية ليس إلا . ليست اسلامية ولا شرقية ، بيد اننا لا ننكر ولعله ليس من العقل ولا من العلم ولا من الخير ، ان ننكر انها تتصل بالاسلام وبالشرق . على انه من الضروري جداً — لكي تنتفع القضية من هذا الاتصال المنفعة المرجوة — ان نفهم فهماً صحيحاً نوع هذا الاتصال ومداه .

تتصل « قضية العرب » بالشرق ، على اعتبار ان العرب شرقيون ، وعلى اعتبار انهم كانوا اصحاب هذا الشرق قروناً طويلة، فأثروا فيه وتأثروا به ولا يمنع زوال هذا السلطان، استمرار تشابك المصالح وتبادل المنافع ، بين الامة العربية وبين بقية الامم في الشرق . فاذا قيل ان العالم كله اليوم :

الشرق والغرب ، متصل بعضه بالبعض الآخر ، وانه متشابكة مصالحه ، متبادلة منافعه ، بالنظر الى نوع المواصلات وادوات الحضارة والمدنية المتعددة المتنوعة ، قلنا ان هذا صحيح ، وانه قول يقوم حجة لنا وليس علينا . لا سيا وهناك هذا الشيء من التشابه في العقلية والروحانية بين العرب وبين بقية اهل الشرق.
على ان هذا الاتصال ينبغي ان يُفهم منه انه اتصال لقضيـــة العرب مجتمعة غير مجزأة ، او للامة العربية موحّدة، على اعتبار انها « كل » لا يتجزأ ، بالامم الشرقية ، كل امة على حدة، وعلى اعتبار ان كل امة منها مجتمعـة « كل » لا يتجزأ . ولا يزيـد اتصال «قضية العرب »بقضية اية امة شرقية ، عن اتصال قضية اية امة شرقية بقضية العرب، او باية قضية لاية امة من امم الشرق.

وليس من العقل ، ولا من المنطق ، ولا من الكرامة، ولا من المصلحة ان تُذيب اقطار العرب مفككة ، شخصيتها في دنيا الشرق ، ناسياً كل قطر دنياه الخاصة — الدنيا العربية — . ثم انه يجب ان لا ننسى ان قضيتنا تتصل بالغرب الى حد ، اتصالا من الحكمة ان لا نتعامى عنـــه . وان الوطن العربي اقرب جغرافياً الى بعض البلدان الغربية منه الى بلدان كثيرة شرقية. وقضية مصر انما هي عند العاقل الصحيح التفكير ، البعيـــد النظر ، جزء من « قضية العرب » العامة ، لا يمكن ان تكون قضية تامة بنفسها ، مستقلة عن القضية العربية الكبرى استقلالا تاماً . واذا كان يخطر لناس انها كذلك ، وانها تعيش على هذا

الاساس ، فمن الخير ان نذكّر هذا الناس ، بان حياتها تكون حياة موقتة وغير طبيعية ، وكل ما هو غير طبيعي لا يدوم .
واخوات مصر اذن ، كالشام والعراق والحجاز وغيرهن من مثلهن ، هنّ اخوات مصر العربيات وليس الشرقيات . فحينما يريد انسان ان يعرّف ابن عم له مثلا ، الى انسان ما ، من المفروض ان يقول : فلان ابن عمي ، وتجمعنا مدينة واحدة ، اذا شاء ان يزيد ، اي ونسكن مدينة واحدة ، ولا يقول (فلان ابن بلدنا ...) متناسياً صلة القربى . « فالشرقية » تجمع امماً كثيرة ، وهكذا « الغربية » ما اكثر ما تجمع من امم . ولكل امة تامة ، سواء أكانت في الشرق ام في الغرب شخصيتها الجامعة المميزة . وقضيتها العامة (الخاصة) ، ما تتصل بغيرها الا بمقدار . ولا يصح هذا الاتصال كما قدمنا لـ « جزء » منفصلا ، دون الـ « كل » . وانما يصح لـ « كل » بـ « كل » اخر .

وتتصل « قضية العرب » بالاسلام اتصالا في الواقع وثيقاً ، ولكن حذارِ ان يُفهم من ذلك انها قضية اسلاميـــة . تتصل « قضية العرب » بالاسلام ، على اعتبار ان الاسلام دين عربي ، تبع فيه الناسُ العربَ ولم يتبعوا هم احداً . رافقته العروبة بعد ان بعثها على وجهها الصحيح ، وفي روعتها الجليلة المحسنة الى كل بلد . وطبعت بطابعها من آثاره العظيمة في عالمي الروح والمادة كل اثر .

لقد جاء الاسلامُ العربَ على يد رجل منهم . وكانوا يومئذ

قبائل متفرقة ، متناحرة ، يفتك في القسم الاكبر منها الجهل والفقر والفساد والفوضى ، ويمزّق بعضها بعضاً ، في لا شيء ، ومن اجل لا شيء ، سادرة في حياتها تلك ، لا يحدوها امل رفيع . ولا يهزّ نفوسها مثل أعلى . حتى اذا جاءها الرسول العربي الامين بالاسلام – قرآنا عربيا خالصاً – جاءها الهدى فاهتدت . وخلقت منها النُظُم الروحية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شرعها الدين العربي الحنيف – أمة – ما كانت لتغدو كذلك ، بالمعنى المفهوم الكامل من كلمة امة ، لولا هذه النُظُم . وبكلمة اجمع لولا الاسلام . الاسلام ، الذي أثّر في نفوس العرب تأثيراً عجيباً ، لم يقتصر على الذين دانوا به منهم ، بل تناولهم جميعاً .

وان الوثبة العجيبة التي وثبها العرب في القرن السابع بعد المسيح ، فقضت على تلك الحياة الجاهلة الجامدة ، الباردة الجافة المتفسخة ، التي كانوا يحيونها ، ودكت معالم الوثنية في الجزيرة ، وما وراء الجزيرة ، وفتحت امامهم افاقا واسعة ، فراحوا يقضون على الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية الرومانية ، ويشيدون على انقاضها ملكا واسعاً شاسعاً ضخما قويا ، يزدهر بشتى العلوم والمعارف ، ومختلف الوان الحضارة العالية والعمران ، ويقوم منارة للهدى والعدل ومكارم الاخلاق في اسية وافريقية ، واوربة ، ان تلك الوثبة العجيبة التي تبدو من ه الحوادث الخارقة في التاريخ ، والتي يكاد المرء

لا يجد لها تعليلا في القوانين الاجتماعية ونظم الحياة » ، يجد لها علماء التاريخ والاجتماع تعليلا في الدين العربي : « الاسلام » . هذا الدين السمح وما تركه من اثار في نفوس الشعوب والقبائل العربية التي خلق منها هذه الامة ، تأتي بالمدهشات[1] . ومع هذا هل يصح ان تكون « قضية العرب » قضية اسلامية ؟ نستطيع ان نجيب من دون تردد وفي اقتناع ويقين : (لا) . ان هذا كله لا يجعل من « قضية العرب » قضية اسلامية . ففي العرب مسلمون وغير مسلمين[2] . وان الدين غير القومية . انه شيء والقومية شيء آخر . والا لوجب ان يكون كل مسلم على وجه الارض عربياً لانه مسلم[3] . وان يكون المسيحيون كلهم

(١) يقول « جيبون » ان في عبقرية النبي العربي ، وفي خلال امته وروح دينه ، اسباب انحلال الدولة الشرقية وسقوطها ــ اي اسباب وثبة العرب العجيبة ــ وانشاء العرب ذلك الملك العظيم والدول الزاهرة . « مواقف حاسمة في الاسلام ص ١٢ ــ ١٣ .

(٢) حتى ولو كان العرب كلهم مسلمين ، لن تكون « قضية العرب » قضية اسلامية . لان العربي فخور قبل كل شيء باصله وقومه ، ومفطور على الزهو والتيه بهذا الاصل وهذا القوم على الناس جميعاً . وهذه قضية الترك ، والترك كلهم مسلمون ، ليست قضية اسلامية . وقضية العجم ، والعجم كلهم مسلمون ، ليست قضية اسلامية . انما قضايا قومية صرف . وقضية العرب قومية قبل غيرها من قضايا الامم . وقد يصح العكس فتكون قضية الاسلام قضية عربية ولا ينعكس . . .

(٣) لعل في هذا وحده ، اي في ان يصبح كل مسلم على وجه الارض عربياً ، وجهاً من وجوه تحقيق رسالة الاسلام وخيراً عميما لا يعادله خير .

على وجه الارض ابناء قوميـــة واحدة لانهم مسيحيون ، وهذا مستحيل .

ولو كانت « قضية العرب » قضية اسلامية ، لتساوى في نظر المسلمين من العرب ، المسلمون في الدنيا جميعاً ، وليس الامر كذلك . وأحسبُ انه لن يكون كذلك ابداً ، ما دام الانسان مفطوراً على المفاخرة باصله وقومه ، وما دام لكل قوم خصائصهم ومميزاتهم . وكلما ارتقت امم الدنيا علمياً وعقلياً واجتماعيـــاً ، وضحت الفروق بين القومية والدين .

وما الحروب الصليبية التي اشعلتها امم اوربا في القرون الوسطى ضد العرب ، فوضعت الاسلام في ناحية ، والنصرانية في ناحية اخرى ، الا صورة ، من صور الجهل – المقيت اشد المقت – بالدين والقومية ، احسب انه لن يبدو كما كان مرة اخرى ابداً . قد يقول البعض : ان في موقف اوربا الراقية من الشرق حتى اليوم ، شيئاً من ذلك الروح ، لم يمنع الرقي وجوده . قد يكون . بيدَ انهم لا يتنادون باسمه – كما كانوا يفعلون – ويخجلون من التصريح به ، وليس مردّ هذا الا الى الرقي العقلي والعلمي والاجتماعي عندهم ، رغم كل ما يفعلون ، ويزيدنا هذا يقيناً بان الفروق بين القومية والدين ، تزداد وضوحاً من جيل الى جيل .

لبنان ١٩٣٩ – ١٩٤٢

فهرست

من كتب

دار العلم للملايين

مطبعة الكشاف بيروت